كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

رحمه الله تعالى رحمة واسعة واسكنه
فسيح جنانه بمنه وغفرانه
امين امين
امين
م

قال الامام ابو عبد الله الغرناطي في كتاب الشفاء لما نسخه في الروضة الشريفة بالمدينة حرسها الله تعالى في شهر شعبان الكريم

أعز لدي من نيل الاماني ۞ شفا قد حوى رتب الشفوف ۞ تضمن للرسول نفيس مدح
نساد الكتب من نهج الطريف ۞ ظفرت بكتبه في خير شهر ۞ له يعزى بمسجده المنيف ۞ نقل بدح وممدوح وظرف
شريف في شريف في شريف ۞ لجازى الله بالحسنى عياضا ۞ واجزل اجر مكتتب الحروف

انشدنا شيخنا الفقيه الامام العالم العلامة نفيس الدين سليمان بن ابرهيم العلوى قال انشدنا
والدى رحمه الله قال ناولني هذه الابيات الصنو الامام بها الدين عبد الله بن شيخنا الامام جمال الدين
محمد بن احمد بن خلف الانصارى شهر بالمطرى رئيس المؤذنين بالحرم الشريف النبوى صلى الله على مشرف
ساكنيه وسلم قال انشدنا سيدنا ومولانا وشيخنا العلامة فريد المناقب نادرة الزمان تاج الحق والدين
عبد الباقي بن عبد المجيد بسط الله ظله

هذا الشفا شفا القلب من ألم ۞ ما فيه شيء من التحريف للكلم
مهذب اللفظ ميمون نقيبته ۞ بما حوى درجه من جوهر الحكم ۞ يهدى الى شرف المختار من مضر
هدايه دونها نار على علم ۞ كانه القمر الزاهي بطلعته ۞ يزيل ما كان للالحاد من ظلم
حسبي به عدة في كل حادثة ۞ تاتي فوارضها بالشيب والهرم ۞ سقى عياضا من الغفران ديمة
نعم الخليق من الغفران بالديم

قال الفقيه جمال الدين محمد بن موسى

الدوالى نفع الله بركاته ۞ ما كتاب الشفاء الا شفاء ۞ للقلوب المراض والاجساد
وهو المرء والقبول كما قد جاء ۞ نا عن مشايخ الارشاد ۞ لجزى القاضي المصنف خيرا
وحباه الجنات رب العباد ۞ نسال الله حشرنا كلنا في ۞ زمرة المصطفى البشير الهادى

وقال في ذلك ايضا

شفاني الشفا لما قرات فصوله ۞ يعرف حق المصطفى كل مهتدى
نعم وهدى قلبي لحسن صفاته ۞ بما لم يكن قلبي اليه ليهتدى ۞ فيا رب عوض نفس جامع نظمه
عياض عن الدنيا بوجهك في غد ۞ وهبني برواجع بر شمل صادق ۞ المحبته فيه في نعيم مؤبد
فاني قد احببته مخلصا بما ۞ بدا منه مذهب النبي محمد ۞ ولا شك ان المرء مع من احبه
والمخلص ذا اعمار يا من تردد

تشرف به العبد الحقير
المعترف بالعجز والتقصير الفقير
اقدام المساكين عبد الله
بن حسن پاشا بن عثمان
پاشا امير الحاج دوي
شام سابق غفر الله
لهم وللمسلمين اجمعين
١٢٤٦
٩ ذي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل
قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه
الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا
وراه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شي رحمة وعلما واسبغ
على اوليايه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا
ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم
رافة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا
عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما
وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمى وتنما وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله
قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليايه المتقين الذين شرفهم
بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته
واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا
ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته
وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق
قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت على السوال في وضع مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفا عليه افضل الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واكرام
وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان
اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل سور وامثال فاعلم اكرمك
الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني
مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي عليه الصلاة والسلام
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها
الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها
الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السوال
والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي
لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراتي
عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المومن
حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا
حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة فبادرت الى نكت سفرة عن
وجه الفرض مودّيا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل
البدن والبال بحمل ما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا ولا يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده
جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفا ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة

القسم

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه
في اربعة ابواب الباب الاول في ثنايه تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضايل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به
في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على يديه
من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم
الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه افضل الصلاة والسلام ويترتب القول
فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما
قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعده
والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المومن باليقين وتملا انواره
جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه
تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه صلى الله
عليه وسلم وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه
وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب
ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملايكته وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في
خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب ويتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وتشفي صدور قوم
مومنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال
القاضي الامام ابو الفضل رضي الله عنه لا خفا على من مارس شيا من العلم او خص بادنى
لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه اياه بفضايل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة
والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى عليه من
اخلاقه واادابه وحض العباد على التزامه وتقليد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل
بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضايل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي
شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم
حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين
المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال

روينا من حديث انس انه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكذلك كان
صلى الله عليه وسلم مع عبيده واماىه ما ضرب احدا
منهم قط رواه الترمذي وهذا امر لا يكاد
تتسع له الطباع البشرية لولا التاييدات
الربانية

روى ان عبد الله بن مسعود
قال ان لله تعالى ملايكة
سياحين في الارض
يبلغوني عن امتي السلام

حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد
محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثنا وتعداد
المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم
من انفسكم بفتح الفاء وقراة الجمهور بالضم **قال** القاضي الامام ابو الفضل وفقه
الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من
المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته
ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم
يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه
من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة
ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم
قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه روف رحيم ومثله في الاية الاخرى
قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية
الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم الاية وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها
نكاح **وقال** جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة
والبسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين **قال** ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى
يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا **وقال** السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس
وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر
بتاخير العذاب **قال** ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين وللكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة **وحكي** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين **وروي**
عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما
وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور
السموات والارض الاية **قال** كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد وقاله سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل
السموات والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري

وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله الا المودة في القربى صح

قال الكلبي [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]

لاغير

لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي
تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في
هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع
نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر
قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد
رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي وفقه الله هذا تقرير من الله
جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة
ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفع ذكره وقرانه مع اسمه
اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان
ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت
ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرك معي وقال ايضا جعلتك
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن
ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام
في غير حقه عليه افضل الصلاة والسلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد
الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري
قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود
السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله
وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله
عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارهم بثم
التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان
خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بيس خطيب القوم انت قم
او قال اذهب قال ابو سليمن كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه
من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح
لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي هل

يصلون راجعة الى الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه افضل الصلاة والسلام وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق المومنون وقيل ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة

وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد اخبرنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطا بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره

بالمدينة اوقال طيبة امته الحامدون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم قال السمرقندي ذكرهم الله
منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين روفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا
من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال
ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على
الناس وكذلك قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي
عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق عليه السلام
قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا عليهم السلام هل بلغتم فيقولون نعم فتقول
اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند
ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله
التستري رحمة الله عليه هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد
ابن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسايل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث فيما ورد في خطابه
اياه مورد الملاطفة والمبرة** فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
قال ابو محمد المكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال
عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان
معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله
تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي
لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه
في الاذن لهم **قال القاضي** ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرايض
بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه
الملاطفة العجيبة في السوال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير
ما فيها من الفوايد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب
ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا قال
بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبيا بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل
وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرايط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر
كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فاتاه جبريل عليه السلم فقال ما يحزنك

الاية ٣٣ من سورة الانعام

قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الاية ففي هذه الاية
منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطاف في القول بان قرر عنده انه
صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا
يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم
لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما
يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم
عزاه وانسه بما ذكره عن من قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك
الاية فمن قرا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفرا والكسائي لا
يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا
ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه وبره الله تعالى به
ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمايهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا موسى
يا عيسى يا زكريا يا يحيي عليهم السلام ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر **الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره** قال الله
تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله
بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما
ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة
احد غيره صلى الله عليه وسلم قال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى
الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو
عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال
هو قسم وهو من اسما الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل
يا انسان وعن ابن الحنفية رحمة الله عليه يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
تعالى به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال
والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه من اسمايه صلى الله عليه وسلم
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر
عليه وان كان بمعنى الندا فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله
تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من
قال انه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هولا مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية
وما بعده يصححه قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم
قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهي ان
شا الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال

تعالى

تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله
بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله
تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما الصلاة والسلام وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا
القران الذى لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب
فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله
تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم لله وقيل جبل
محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال
انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد
صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان **الفصل الخامس في قسمه تعالى**
جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى
السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند
فترة الوحي فنزلت السورة **قال** الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله
تعالى السورة تضمنت هذه السورة من كرامة الله له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه
الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة **الثاني** بيان مكانته عنده وحظوته لديه
بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان
اصطفاك **الثالث** قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك
في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت
لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا **الرابع** قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات
الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في
الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس اية في القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد
من امته النار **الخامس** ما عدده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الائه قبله في بقية
السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له
فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه
وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك
ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه **السادس** امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره
لقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته
وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في
قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى
صلى الله عليه وسلم وقال سهل هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسما والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي
تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه
على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله
اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه

وقيل هو اسم القران

بلغ مقابله

تفضيله

الكبرى وقد نبه تعالى على مثل هذه المعاني في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه
صلى الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا
تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى
وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته
عليه الصلاة والسلام وعصمتها من الافات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه
وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم
عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده مطاع ثم امين اي في السما امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له
وقال غيره هو جبريل عليه السلم فترجع الاوصاف اليه ولقد راه اي يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم قيل راى ربه وقيل راى جبريل عليه السلم في صورته وما هو على الغيب
بظنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمه
وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات
اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تبرية المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة
في المخاطبة واعلا درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير
منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه
من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم
قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطي اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله
على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه
ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث ايات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله
ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا
تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقايه
وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد
من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام قال تعالى
طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمايه عليه الصلاة والسلام
وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعه
لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية
عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة
وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا
ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي حدثنا ابرهيم بن خزيم الشاشي قال

وزكاه

الفصل الاخفاء والابهام

حدثنا

حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي
الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الاية ولا
خفا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله
عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي
قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا
يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية
قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على
ذلك حل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم
قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في اي كثيرة
من هذا المعنى **الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من
عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا وحظوة رتبته** صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم و
قوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله
عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه ونحوه ح‍ النساء
عن السدي وقتادة في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله
ح‍ الاحزاب شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك الله اخر
الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح عليه السلام وغيره قال
السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل ح‍ البقرة
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على
يديه المعجزات وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى
الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خاطب الانبياء

باسمايهم وخاطبه بالنبوه والرساله في كتابه فقال يايها النبي ويايها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم
اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي
وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام **الفصل الثامن** في اعلام الله تعالى
خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم اي ماكنت بمكه فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكه وبقي
فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا
لعذبنا الاية وقوله ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا
يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله
عليه وسلم ودرايه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله بقراتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن
الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل
بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي برده بن ابي موسى عن ابيه رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا امان
لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى
الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت
سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الايه
ابان الله فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملايكته وامر عباده بالصلاة
والتسليم عليه والصلاة من الملايكة ومنا له دعا ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة
وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته
قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده قال هو الذي ايدك بنصره والعين
عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله
وملايكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الايه
مولاه اي وليه وجبريل وصالح المومنين قيل الملايكه وقيل ابو بكر وعمر وقيل
علي وقيل المومنون على ظاهره **الفصل التاسع** فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت
هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر
الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وما يكون
قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي
جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطايف
وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع
متكبري عدوه له وبفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المومنين
بالسكينة والطمانينة التي جعلها الله في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم

وقيل الانبياء عليهم السلام

رضي الله عنهم

منها

والعفو عنهم

والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا الاية فعدد
محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدًا لهم بالتوحيد ومبشرًا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرًا اعدوه بالعذا
وقيل محذرًا من الضلالات ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه
اى تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون فى تعظيمه وتوقروه اى تعظمونه وقرا
بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله
عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبى
صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص
والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تنزيهه من العيوب وتمام النعمة
ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر
ابن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره
وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه
الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعًا مشفعًا وسيد ولد ادم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك
يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه
وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب المجاز
وهذا فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومشيئته ولانه ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت
حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل
فى هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربى ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم
وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اى ان منفعة الرمى كانت من فعل الله فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت بالاسم
الفصل العاشر فيما اظهره الله فى كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه
تعالى من قصة الاسراء فى سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم
منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهده من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله
الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه فى هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم
لهلكه وخلوصهم نجيا فى امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه فى الغار وما ظهر فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة
سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر
اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر فى الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه
ورد عليه قوله فقال تعالى ان شانيك هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او المفرد الوحيد او الذى لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعًا من المثانى
والقران العظيم قيل السبع المثانى السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران
وقيل السبع المثانى ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثانى ما فى القران

من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وانبائك نباء القران العظيم
وقيل سميت ام القران مثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى
الله عليه وسلم وادخرها له دون الانبيا وسمى القران مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل
السبع المثانى اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الاية قال
فهذه من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه الصلاة
والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمومنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اى ما انفذه
منهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج فى الاخرة وقد قرى وهو اب لهم
ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة
الى احتمال الروية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم **الباب الثانى**
فى تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه
نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
ان خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة
الحياة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويتقرب الى الله زلفى ثم هى على قسمين
ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضرورى المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضايه واعتدال حركاته
وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من
غذايه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال
الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على
حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فساير الاخلاق العلية
والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتودة والوقار والرحمة
وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله وتكون
هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها فضايل ومحاسن
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا
كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة
منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم
او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال
بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة
والاصطفاء والاسراء والروية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود
والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد

سبا

الاحزاب

النسا

بلغ مقابلة

والبشارة

والامانة

والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة
للعالمين واعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية
الامة والدعاء الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع
الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحيا
الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصى وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه
ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد الله له في الدار الاخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون ادنى بينها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفا على القطع بالجملة
انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا
وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال والجمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها
من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة
وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها
فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك
وابي هريرة والبراء بن عازب وعايشة ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر
ابن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن
خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه صلى الله
عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سواء البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب
الكفين والقدمين سايل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله
صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب
الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم
متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة سودا في حلة
حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه
واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي
حديث ابن ابي هالة يتلالا لانور وجهه تلالا القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله
عنه في اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله
تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة فحدثنا سفين بن العاصي غير واحد

قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن
سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي
الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال
فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب اولم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجات امه بقارورة
تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في
طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله
عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه
من طيبه وروى المزني عن جابر رضي الله عنه اردفني النبي صلى الله عليه وسلم
فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم على مسكا ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت
رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه
وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب
الواقدي في هذا خبرا عن عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي
الخلا فلا يرى منك شي من الاذى فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما
تخرج من الانبيا فلا يرى شي وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من
اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي
حكاه الامام ابو نصر الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر
ابن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على
مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
منه شي يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا فقلت طبت حيا وميتا قال
وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين
قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم
احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما دم حجامته فقال صلى الله عليه
وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا
عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم
الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في
نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه
من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد شيا فسال بركة عنه فقالت قمت
وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى
الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن عايشة رضي الله
عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وروي عن ام امنة انها
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله
غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا
قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله وذكا

لبه

لُبّه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال ابن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة خردل بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زادها الله في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رويته صلى الله عليه وسلم للملايكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على روية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله ابن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مروان حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفاء في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب

عليهم السلام صح

فصل

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل مع سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها

وامحض لبنها وابعث راعيها فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من
اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصا لكم يا بنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط فى الزكوة ولا تلحد
فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش
وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم
ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفيه فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل
ابن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس رضى الله عنه فى الصدقة المشهور
لما كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم فى هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله فى حديث العامرى
حين ساله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك اى سل عما شئت وهى
لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة
ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد
على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير فى صحبة من
لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم
تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا الموطوون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله فى بعض دعايه اللهم انى اسالك
رحمة تهدى بها قلبى وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غايبى وترفع بها شاهدى
وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى اسالك
الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة
عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ فى قالبه عليها كقوله حمى الوطيس
ومات حتف انفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره فى اخواتها
مما يدرك الناظر العجب فى مضمنها ويذهب به الفكر فى ادانى حكمها وقد قال له اصحابه
ما راينا الذى هو افصح منك فقال وما يمنعنى وانما انزل القران بلسانى لسان عربى
مبين وقال مرة اخرى بيد انى من قريش ونشات فى بنى سعد فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها
الى التاييد الالاهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشرى وقالت ام معبد
فى وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان
جهير الصوت حسن النغمة **فصل** واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه فما لا

يحتاج

فاصقعوه اي اضربوه

الترفل ...

يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف وافضل العرب واعزهم واشرفهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر عبد الرحمن بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم عليه السلام بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم عليه السلام وجعلني في صلب نوح عليه السلام وقذف بي في صلب ابرهيم صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم فلم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لاسيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث

لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك
سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي
وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان
في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا
يعترض على هذا الحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه
اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره
بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح
العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا
والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهية يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على
الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينيذ
لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النايم
على الايمن تعلق القلب فقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل**
والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما
النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة
وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا
اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام تناكحوا تناسلوا فاني
مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج حتى لم يره العلما مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم فكيف نزهد فيهن ونحوه لابن عيينه وقد كان
زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي
والحسن وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم غير شي وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا عليهما
السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده
فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النسا فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان
ثناء الله تعالى على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل
قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق
بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النسا فقد بان
لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى صلى الله عليه وسلم فضيلة زايدة
لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي

يشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر
من النسا والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للاخرة
للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى
وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه
وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور
على نسايه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه
اعطي قوة ثلثين رجلا اخرجه النسائي وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة
اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة على نسايه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال
هذا اطهر واطيب وروى نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن
الليلة على ماية امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما
كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء ماية رجل وكانت له ثلثماية امراة وثلثمائة سرية
وحكى النقاش سبعماية امراة وثلثماية سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بتزوج اوريا ماية وقد نبه على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله عنه عنه صلى
الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى
عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها
وقد كان يبهت ويفرق لرويته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا
قام بين يديه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر
هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على نضيلته
جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة
بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند
مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم

يضعه مواضعه ولا وجهه وجهه غير ملى بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا ممتدح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال
الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شئ
والمنفق ملى غنى بتحصيله فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شئ فانظر سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح
البلاد واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد
الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهاداه جماعة من ملوك الاقاليم
فما استاثر بشئ منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا ارصده
لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسايه فلم ياخذه نوم
حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس
والتزين ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا
يودى الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال فكذلك التباهى
بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض
وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حايز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه
عنها وزهده في فايتها وبذلها في مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف
بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدايمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها
فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة
رضى الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضى الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن على بن ابى طالب
رضى الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا برياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا ساير
الانبيا عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما
عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بل
غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى
واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال
معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل
في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين
فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم انى
اجد ما في بطنى يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى عليه السلام
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزنى على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال

ان

بمتمدح خ
ممدح

ان المنادى عيسى ونص على كلامه فى مهده فقال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبى يلعب فى قصة المرجومة وفى قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه عليه السلام وحكى الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى صلى الله عليه وسلم مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون فى قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلم فى النار ومحنته كانت وهو ابن ستة عشرة سنة وان ابتلا اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم عليه السلم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الى يوسف عليه السلم وهو صبى عندما هم اخوته بالقايه فى الجب يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما وقال فى حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم ممن يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين تتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن رضى الله عنهما وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديثه والجراة والجبن غرايز يضعها الله حيث يشا وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شا الله تعالى

فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضايل وتجنب الرذايل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى

دون تعليم ولا ممارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي امي
لم يعرف بشي من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن
دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند
الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه
وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الاية سال جبريل عليهما الصلاة والسلام عن تاويلها فقال حتى اسال العالم
ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور ولا خفا بما يوثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب
حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر
رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على
قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا
فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول
من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع
لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال له ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت [illegible] وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت
شجرة وحده قايلا والناس قايلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
قايم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه وعفى عنه
فجا الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن
اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد
ابن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته
وذكر

وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته
قولاً وفعلاً بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمداً يقتل اصحابه وعن انس
رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على
بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عائشة رضي
الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً في مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من
محارم الله وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امراة
وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع
ولو اردت ذلك لن تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه ديناً عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل
فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن
التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً
لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا
وقد عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل الا حلماً فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه
وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في
الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان
عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيراً اخ كريم وابن اخ كريم فقال
اقول كما قال اخي يوسف صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقا
وقال انس بن مالك رضي الله عنه هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي
كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفين وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يان
لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضباً واسرعهم رضا صلى الله عليه
وسلم فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق
بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
ايضاً حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو
ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا
يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله
قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا
البخاري حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا وعن انس وسهل
ابن سعد رضي الله عنهما مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه
وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليهما السلام

اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه
فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا
وذهبا قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه اتى
رجل النبي صلى الله عليه وسلم فساله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله
نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف
وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل وقد حضر المواقف الصعبة وفر
الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني
فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد
الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر
حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء رضي الله عنه وساله رجل افررتم يوم
حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفين اخذ بلجامها والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب
قيل فما رؤي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم
عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين
الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس
ويروى اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو
الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع
اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه
وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين رضي الله عنه ما لقي صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت

ان نجا

ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك
ان شا الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه
رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة
من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير
اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن
فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم
يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله
لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء
فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه
خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى
ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراتي
عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا شعبة
عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيا عرفناه
في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا
بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال
اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه
انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج
قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام
وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم كان من حيايه
لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة
رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته
وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا
واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف
الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره فقال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد
النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها
وكان صلى الله عليه وسلم يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه
ويعطي كل جلسايه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من

القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سوا بهذا
وصفه ابن ابي هاله قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عن ما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال
الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال
ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي
عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لي اف قط وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وعن عايشة رضي
الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه ما حجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود
المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال انس رضي الله عنه ما التقم احد
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه
وما احد اخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه
بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويوثره
بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمايهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء
او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران
او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحرث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الما فما يوتى باناء الا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك **فصل** واما الشفقة والرافة
والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين
روف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
الصلاة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمايه فقال بالمومنين روف رحيم
وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراتي
عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر حدثنا
ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة
وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان ابن امية ماية من النعم ثم
ماية ثم ماية قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي
ان اعرابيا جاه يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه
وزاده شيا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شي فان احببت فقل بين
ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم منك عليك قال نعم فلما كان الغد
او العشي جا فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي
اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل
رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا
بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض

فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل صلى الله عليه وسلم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السموات والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت ترده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد ابن اسماعيل بقراتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد ابن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل بن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا رضي الله عنه بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم مني رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه الصلاة والسلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه

وَكَانَ يبعث الى ثويبة مولاة ابى لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقى من
قرابتها فقيل لا احد وفى حديث خديجة رضى الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يحزنك الله ابدًا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف
وتعين على نوايب الحق **فصل** واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة
رتبته فكان اشد الناس تواضعًا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيًا عبدا فاختار ان يكون نبيًا عبدًا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك
بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيامة وانك اول من تنشق عنه الارض
واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتى عليه فى منزله بقرطبة
سنة سبع وخمس مايه قال حدثنا ابو على الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا عبد المومن حدثنا
ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر
عن ابى العنبس عن ابى العدبس عن ابى مرزوق عن ابى غالب عن ابى امامة رضى الله
عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيًا على عصًا فقمنا له فقال لا تقوموا
كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفى حديث عمر رضى الله عنه
لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس
رضى الله عنه ان امراة كان فى عقلها شى جاته فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى يا
ام فلان فى اى طرق المدينة شيت اجلس اليك حتى اقضى حاجتك قال فجلست فجلس
النبى صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضى الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة
على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوى
اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ريا فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض
واهدى فى حجه ذلك ماية بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها المسلمين طاطا على
رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعًا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم
قوله لا تفضلونى على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيرونى على موسى ونحن
احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى وقال للذى
قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله
وعن عايشة والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته وبعضهم يزيد على بعض كان فى بيته
فى مهنة اهله يفلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويطحن ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس رضى الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شات حتى يقضى حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته
من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى لست بملك انما انا ابن امراة من قريش
تاكل القديد وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبى
صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا يفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك
انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشى احق بشيه
ان يحمله **فصل** واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته
فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق
كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين
اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلف قريش وتحازبت عند بنا

بحكم

الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل
نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضيناه وعن الربيع بن خثيم رحمه الله كان
يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله
عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقرائتي
عليه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا
معوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه
ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله
فيهم فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان
الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع
كلامنا تخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد
قط وسال هرقل عنه ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
قال لا وقال النضر بن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم
حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي
رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن
يعدل اذا لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة رضي الله عنها ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس لقضاء الحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه
وسلم جزا نهاره ثلثة اجزاء جزوا لله وجزوا لاهله وجزوا لنفسه ثم جزا جزءه
بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع
ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن
الحسن رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه ما هممت بشي مما كان
اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما
هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل يرعى
مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جيت اول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء
فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلايي
اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللولوي حدثنا ابو داود حدثنا
عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عبد الرحمن
عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه
وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في مجلس احتبى بيديه وكذلك
كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه
تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم

الطير وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفوا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي
الحديث الاخر اذا مشى مشا مجتمعًا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا
كسلان وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان احسن الهدي هدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
او ترسيل قال ابن ابي هاله كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت
عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى
الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرًا ويحض عليهما ويقول
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته صلى الله
عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك
وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد
تقدم من الاخبار اثناء هذه السير ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها
وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
حدثنا سفين بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التيمي قالوا حدثنا
احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين
حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن
ابرهيم عن الاسود عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة ايام تباعًا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو
شا لاعطاه ما لا يخطر ببال وقالت عايشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه
وبغلته وارضًا وجعلها صدقة قالت عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شي
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة
ذهبًا فقلت لا يا رب اجوع يومًا واشبع يومًا فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك
وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل
عليهما السلام نزل عليه فقال له ان الله يقريك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك
هذه الجبال ذهبًا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليهما الصلاة
والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان كنا آل
محمد لنمكث شهرًا ما نستوقد نارًا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عايشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها انما
كان فراشه الذي ينام عليه ادمًا حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا يثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه
له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه لحاله
فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يوثر في جنبه وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعًا قط ولم يبث شكوا الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان
ليظل جايعًا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شا سال ربه جميع
كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح
بيدي

بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عايشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلاني قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم **فصل** واما خوفه ربه وطاعته
له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني
عليه قال حدثنا ابو القسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن
عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا
عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر رضي الله عنه اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى لوددت ويروى وددت اني شجرة تعضد
روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث
المغيرة رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت عايشة
رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة
وانس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نايما
الا رايته نايما وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية
رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه
وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة وعن عايشة
رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن
الشخير رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز
المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم
الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردايي
والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة فوادي في ذكره وغمي
لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبيا
والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم

ادم عليه السلام طوله ستون ذراعًا في السماء، وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
رايت موسى عليه السلام فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى عليه
السلام فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر
منطق مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم عليهما الصلاة والسلام به وقال
في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت رائي من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيًا الا في ذروة من قومه
ويروى بثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من
حديث قتاده عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيًا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسنهم وجهًا واحسنهم صوتًا وفي حديث هرقل
وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرًا نعم العبد انه اواب وقال تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين
وقال ان الله اصطفى ادم ونوحًا وال ابراهيم وال عمران الايتين وقال في نوح انه كان
عبدا شكورًا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني
عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيًا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
الايه قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرًا ما يرى
من جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكمًا الاية وجعلني من المرسلين
وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتبا
والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال
في اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصًا وفي سليمان عليه
السلام نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود عليه السلام انه اواب ثم قال
وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف عليه السلام اجعلني
على خزاين الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرًا وقال
في شعيب عليه الصلاة والسلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطًا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الاية قال سفين هو الحزن الدايم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجا من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي
ابن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء
تخشعا وتواضعًا لله وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمه وياكل خبز الشعير واوحى
اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام
ما لك تجوع وانت على خزاين الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو
هريرة رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام خفف على داود القران فكان يامر
بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى
والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا
بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلاة الى الله صلاة
داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام

في ايوب
في يحيى
في آل عمران

سدسه

سره ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى
السما حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع
الثنا عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم
على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما
ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى
عليه السلام لما ورد ما مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال
صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام
فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق السوء وقال مجاهد كان طعام
يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده
وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى
عليه السلام كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب
كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة
وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمايل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف
هذا فصل فقد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضايل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار
ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد ينقطع
دون نفاده الادلاء وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلا ولكنا اتينا فيه بالمعروف
مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك على قل من كل
وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي هالة
لجمعه من شمايله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضايله وفضله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقراتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر
التميمي فيما قرات عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي
بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال
اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ قال حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه
قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها
يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال
سالت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو يعلى رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خداداد الكرخي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو
الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن
بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد
الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن
محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي
بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن
ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي رضي الله عنهما واللفظ
لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخما مفخما يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم
الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج
سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية في صفا الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر رخام
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين عالي الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سايل الاطراف او قال
ساين الاطراف اوسايل الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين
ينبو عنهما الما اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى
كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من
نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دايم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا
المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه اذا تعرض للحق بشي حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا
اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها يضرب بابهامه اليمنى
راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم
ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي رضي الله عنهم زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيا قال الحسين سالت ابي عليهما
السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا
له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزاء جزا لله تعالى وجزءا
لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على
قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول
ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويولفهم ولا
ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان
يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة
فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسايه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم

اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سال حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالت عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عن ما لا يشتهي ولا يويس منه قد ترك نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رووسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافي ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شي يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراى بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي الباين الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السايل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذى في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماوها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادى الصدر ولم يكن في صدره تعس وهو نطا من فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رووس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رووس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسايل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى سايل الاطراف

او قال ... سابن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت
الرواية بها واما على الرواية الاخرى وساير الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت
مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود خمصان
الاخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم
ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابى هريرة
رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطى بقدمه وطى بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق
معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اى
لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع
رفع الرجل بقوة التكفو الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب
وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم صغر الفم
واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي
جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده
ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى في
الغالب والاكثر والعتاد العدة والشى الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله
لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا
في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم
اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد
سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ
قيل مقتصد في ثنايه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت
من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس
العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها **الباب الثالث** في ما ورد من
صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما اختصه به في الدارين
من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل
الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في
ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها
في اثنى عشر فصلا **الفصل الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب
وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابى
بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى
حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم
قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى من خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة
واصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل
الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلنى من
خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وعن
ابى سلمة عن ابى هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة
قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ادم ابرهيم واصطفى من ولد ابرهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله عنه انا اكرم ولد
ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن عايشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل
عليه السلام فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله
عليه وسلم ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض
وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني
في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح
قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ۞ مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ۞ ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ۞ الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ۞ اذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
ابن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل
واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي
رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم تخف
علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب
على الوانهم الادم فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل
الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه ختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال صلى
الله عليه وسلم وانا فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني
قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي
ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم
وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين
يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه الصلوة والسلام قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير
من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به من جوف السما وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في
الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات
لك شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة رضي الله عنه
بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون
الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة
والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم تجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه الصلوة

والسلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيت وحيًا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعًا يوم القيمة معنى هذا عند
المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبيا ذهبت للحين ولم يشاهدها الا
الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيامة وفيه كلام
يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سواه هذا اخر باب المعجزات
وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
اربعة عشر نجيبا ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لم تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة
ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم عليهما السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ان الله فضل محمدًا صلى الله عليه وسلم على اهل السما وعلى الانبيا صلوات الله عليهم قالوا
فما فضله على اهل السما قال ان الله تعالى قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه
الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على
الانبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد
صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي
نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة
ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورات امي حين
حملت بي انه خرج منها نور اضا له قصور بصرى من الشام واسترضعت في بني سعد
ابن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاني رجلان عليهما ثياب بيض
وفي حديث اخر ثلاث رجال بطشت من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا علقة سودا فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه
قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار فيه
الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر
يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلب
وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه
زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بماية من امته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه
عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم
وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله
معك وملايكته قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني فكانما
ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم
عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيتي ويروى تقبل توبتي
فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدًا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا
لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قايله تاويل قوله فتلقى ادم من ربه
كلمات وفي رواية الاجري فقال ادم عليه السلام لما خلقتني رفعت راسي الى
عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم
قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر
النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر

وروي

وروى عن شريح بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد
او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع عن ابى الحمراء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى السما اذا على العرش مكتوب لا اله الا
الله محمد رسول الله ايدته بعلى وفى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى
وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس رضى الله عنهما على باب
الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد
على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد امين وذكر السمنطارى انه شاهد
فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول
الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم
من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم فى سماعه
وابن وهب فى جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد صلى الله عليه
وسلم الا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان
وثلثه وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
الآيه قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا وفضل نسائى
على نسائكم تفضيلا الحديث فصل فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاه
والروية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن
خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه
عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الآيه وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف
بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله
وشرح عجايبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان
نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على والفقيه ابو
بحر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذرى
حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابو سفين حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى عن انس بن مالك رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة
التى يربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله
عليهم فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا
انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا
الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير قال الله
تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب
بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم

فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رضي الله عنه هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس رضي الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى البيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح الاشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس رضي الله عنه اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقال له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى انتهيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام

ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي امة
وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع
لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء
الدنيا ثم من سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى بي الى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى تخرج من اصلها
انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملايكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال له
تبارك وتعالى سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو
مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني
ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
شيا من امته المقحمات وقال ما كذب الفواد ما راى الايتين راى جبريل عليه الصلاة والسلام
في صورته له ستماية جناح وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في السابعة قال
بتفضيل كلام الله قال ثم علا بي فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان
يرفع علي احد وقد روي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت
المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم
رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلم بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
فركبها حتى اتى الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذا اذ خرج ملك من الحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب
الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الفلاح حي على الفلاح وقال ثم اخذ
الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض **قال القاضي رحمه الله** ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق
المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما
تحيط بمقدور محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شا وكيف
شا ومتى شا لقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ

خرج ملك من الحجاب تحجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملايكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول
كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله
لا تجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسأل
القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع
في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رويته فان صح القول بان
محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع
الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء
بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طايفة الى انه اسراء بالروح وانه رويا
منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا حق ووحي والى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي
اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس رضي الله عنه وهو نايم في المسجد
الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد في اليقظة وهذا هو الحق وهو قول
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة وملك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتاده وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج رضي الله عنهم
وهو دليل قول عايشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طايفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح
واحتجوا بقوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى
غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله
عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هولا ولو كان الاسراء بجسده الى
زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى
ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس رضي الله عنه وغيره ما تقدم من صلاته فيه
وانكر ذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقال والله ما زالا عن ظهر البراق
حتى رجعا **قال القاضي** رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسراء
بالروح والجسد في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال
يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه
ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم
يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى
غيره وذكر مجي جبريل عليه السلم له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا عليهم السلم فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه
في فرض الصلاة وفي مراجعته مع موسى عليهما الصلاة والسلم في ذلك وفي بعض هذه
الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى

اسمع

اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورای فيها ما
ذكره قال ابن عباس رضى الله عنه هى رويا عين راها النبى صلى الله عليه وسلم
لا رويا منام وعن الحسن فيه بينا انا نايم فى الحجر جانى جبريل فهمزنى بعقبه فقمت
فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعى ذكر ذلك ثلثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى
فجرنى الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانى رضى الله عنها
ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشا
الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى
الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادى
ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين
فى انه بجسمه وعن ابى بكر رضى الله عنه من رواية شداد بن اوس عنه انه قال
للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم
اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرة فاذا بملك قايم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة
غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابى ذر رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج
سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدرى ثم غسله بماء زمزم
الى اخر القصة ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس رضى الله عنه اتيت فانطلقوا بى
الى زمزم فشرح عن صدرى وعن ابى هريرة رضى الله عنه لقد رايتنى فى الحجر وقريش
تسالنى عن مسراى فسالتنى عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا شديدا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لى انظر اليه ونحوه عن جابر رضى الله عنه وقد روى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فى حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما
تحولت عن جانبها **فصل فى حجج من قال انها نوم** احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا ٢ بطالع
الرويا التى اريناك الا فتنة للناس فسماها رويا قلنا قوله سبحان الذى اسرى يرده
لانه لا يقال فى النوم اسرى وقوله فتنة للناس يويد انها رويا عين واسراء شخص
اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه
من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه
الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية وما وقع فى نفوس الناس من
ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث اخر
بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نايم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ
قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نايم او اول حمله والاسراء به وهو نايم
وليس فى الحديث انه كان نايما فى القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى القضية
المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورويا
الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو
من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شى من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا
ان يكون فى وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له فى هذا الاسراء حالات ووجه رابع
وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النايم من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه بينا انا
نايم فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وقوله فى الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون سمى

هيئته بالنوم لما كانت هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم
وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك
عن انس رضي الله عنه فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما
كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث
والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع من رواية انس رضي الله عنه
مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه
وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك وقال مرة وكان ابو ذر رضي الله عنه يحدث واما قول عايشة رضي الله عنها
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينيذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء
متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث
بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس
قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من
غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس
حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه
خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة رضي الله عنها ما فقدت ولم يدخل بها النبي
صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها منامًا لم تنكره فان قيل فقد
قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه القلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم
ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف
الامر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير
الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه **فصل** واما رؤيته صلى
الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضي الله عنها حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله
ابن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا
ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم
حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة رضي الله عنها يا ام
المومنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله
عنه ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل عليه السلام واختلف عنه وقال بانكار هذا
وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه راه بعينه وروى عطا عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفواده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهم يسئله هل
راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روى ذلك عنه من طرق وقال
ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية
وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال
الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فراه
محمد عليه الصلاة مرتين وكلمه موسى عليه السلام مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو
الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى
جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام فكلم موسى

الى البصر

وراه محمد

وراه محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه وروى شريك عن ابى ذر رضى الله عنه فى تفسير الاية
قال راى النبى صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى
وربيع عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفوادي
ولم اره بعينى وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال رايت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة رضى
الله عنه هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل
انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد و
قال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برويته فى الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف فى تاويل الاية عن ابن عباس
وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود راى جبريل عليه السلم وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه
وعن ابن عطاء فى قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للروية وشرح صدر موسى عليه
السلم للكلام وقال ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى رضى الله عنه وجماعة من اصحابه
انه راى الله ببصره وعينى راسه وقال كل اية اوتيها نبى من الانبياء فقد اوتى مثلها
نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الروية ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ان يكون قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه والحق
الذى لا امترا فيه ان رويته تعالى فى الدنيا جايزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها فى الدنيا سوال موسى عليه السلم لها ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا
يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه
الا من علمه الله فقال له الله لن ترانى اى لن تطيق ولا تحتمل رويتى ثم ضرب له مثلا مما هو
اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل روية ربه فى الدنيا بل
فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرويته
جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات
فى الاية اذ ليس يقتضى قول من قال فى الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها
على جواز الروية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقد قيل لا تدركه
الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل لا تدركه ابصار وانما يدركه المبصرون الابصار م
وكل هذه التاويلات لا يقتضى منع الروية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن ترانى
الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن
ترانى فى الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جات فى حق موسى
عليه الصلاة والسلم وحيث يتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل وقوله تبت اليك من سوالى ما لم تقدره لى وقال ابو بكر الهذلى فى قوله لن
ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى مات وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رويته تعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات والفناء فلم يكن لهم قوة على
الروية فاذا كان فى الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الروية وقد رايت مثل هذا لمالك بن انس
رحمه الله تعالى قال لم يرى فى الدنيا لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان فى الاخرة
ورزقوا ابصارا باقية روى الباقى بالباقى وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شا من عباده
واقدره على حمل اعبا الروية لم تمتنع فى حقه وقد تقدم ما ذكر فى قوة بصر موسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الاهية منحاها لادراك ما ادركاه

ورؤية ما رآياه والله اعلم وقد ذكر القاضى ابو بكر فى اثنا اجوبته عن الايتين
ما معناه ان موسى عليه الصلاة والسلم راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى
ربه فصار دكا بادراك خلقه له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى عليه
السلام راه وقد وقع لبعض المفسرين فى الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية
فى الجواز اذ ليس فى الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول
بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتى النجم والتنازع فيهما
ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك وحديث ابن عباس رضى الله عنهما خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبى صلى
الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابى ذر رضى الله عنه فى
تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابى ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى
نورانى اراه وفى حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى
نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف اراه
مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث الاخر حجابه النور وفى الحديث
الاخر لم اره بعينى ولكن رايته بقلبى مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق
الادراك الذى فى البصر فى القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص
بين فى الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده والله
الموفق تعالى فصل واما ما ورد فى هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله
الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم الا الشذوذ منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس رضى الله عنهم وانكره الاخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضى الله
عنه فى قصة الاسراء عنه عليه الصلاة والسلم فى قوله دنا فتدلى قال فارقنى جبريل
فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن
وفى حديث انس فى الاسراء نحو منه وقد احتجوا فى هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فقالوا هى ثلاثة اقسام
من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلم وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر
احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا
المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحى هنا هو ما يلقيه فى قلب النبى دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن على رضى الله عنه فى حديث الاسراء ما هو اوضح فى سماع
النبى صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء
الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر قال وفى سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجى الكلام فى مشكل
هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفى اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى الشرع قاطع
يمنعه فان صح فى ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك
فى الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد فى الحديث فى السماء
السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع

حديث
الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
ورفع بعضهم فوق بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر
المفسرين ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام او
مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازى وقال ابن عباس
رضى الله عنهما هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اى قرب وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس
هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن
الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان
يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى
الرفرف قرب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه
قال فارقنى جبريل وانقطعت الاصوات وسمعت كلام ربى وعن انس رضى الله عنه
في الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه
قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث
الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وكان كقاب
قوسين قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد عليه
الصلاة والسلام الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى
ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب **قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه**
اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى من ربه وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه
وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطى من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق
تدلى بعدا يعنى عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى
فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل عليه السلام على هذا كان عبارة عن نهاية القرب
ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى
له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى
اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** في
ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضى ابو على قال حدثنا
ابو الفضل وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجى حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذى حدثنا الحسين بن يزيد الكوفى حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع
ابن انس عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدى وانا
اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر وفى رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ عن انس صح
هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم
اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدى وانا اكرم
ولد آدم على ربى ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابى هريرة
رضى الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق

يقوم ذلك المقام غيري وعن ابى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وبيدى لوا الحمد ولا فخر وما نبي يوميذ
ادم فمن سواه الا تحت لواي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابى هريرة
رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامه واول
من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انا
حامل لوا الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فادخلها ومعى فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس رضى الله عنه انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر
الناس تبعا وعن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن
ابى هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم
القيامة وفى حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم
قال انهما فى امتى يوم القيامة اما ابرهيم عليه السلم فيقول انت دعوتى وذريتى
فاجعلنى من امتك واما عيسى عليه السلم فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس
يوم القيامة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه الصلاة والسلام
لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه فى ذلك فلم تجدوا
سواه والسيد هو الذى يلجا الناس اليه فى حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين
البشر لم يزاحمه احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له لله تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى
الدنيا ولذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرة
دون دعوى وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى باب الجنة
يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه الكبر
سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم
يظما ابدا وعن ابى ذر رضى الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايله يشخب فيه ميزابا
من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفى رواية حارثة
ابن وهب كما بين المدينة وصنعا وقال انس رضى الله عنه ايله وصنعا وقال ابن عمر كما
بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة
ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمان
وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة ١
وابو سعيد الخدرى وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابى
بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم **فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة**
جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب
الله اخبرنا ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم
وحدثنا حسين بن محمد بن الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد
حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد
حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابى سعيد رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت
ابا بكر خليلا وفى حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال جلس ناس
من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
نسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام

موسى

موسى عليه السلام كلمه الله تكليمًا وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه
الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو
كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله
وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى وفى
حديث اخر فيدخلنيها ومعى فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التوراة انت حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه اختلف فى تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله
الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا
القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا وسمى ابرهيم عليه الصلاة والسلام
خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل
الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابرهيم عليه
السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل
عليه السلام وهو فى المنجنيق ليرمى فى النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا
وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا المودة التى توجب الاختصاص بتخلل الاسرار
وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب الا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من
النبوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذًا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة
اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب
عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى الطافه عندهما
وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم تخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلما ارباب القلوب
ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا
الخليل الا حبيبًا لكنه خص ابرهيم صلى الله عليه وسلم بالخلة ومحمدًا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه الصلوة والسلم لفاطمة وابنيها واسامة
رضى الله عنهم وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم عليه السلام واصل المحبة الميل
الى ما يوافق المحب ولكن هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهى درجة
المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته
وتوفيقه وتهيئته اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولا ينبغى ان يفهم
من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله
واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه القران برضاه يرضى
وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح منى	وبذا سمى الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثى	واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذاً امزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار الصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى
اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل
اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على
التولى عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام
المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدى الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه
به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذى يكون مغفرته فى حد الطمع من
قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك
الله ما تقدم الاية والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدى
بالبشارة قبل السوال والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك
الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سوال
والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذه المقالة من تفضيل المقامات
والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل فى تفضيله بالشفاعة
والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى
الجيانى فيما كتب الى بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضى حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا
ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن
ابان حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول ان الناس
يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى
تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابى هريرة
رضى الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فقال هى الشفاعة وروى كعب بن مالك رضى الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام
يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يوذن لى
فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود الذى وعده وعن ابن عمر رضى الله عنهما
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشى حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود
الذى وعده وعن ابن مسعود رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفى رواية
هو المقام الذى اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انى لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
الحديث وعن ابى موسى رضى الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام خيرت بين ان يدخل
نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابى هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد
عليك فى الشفاعة فقال شفاعتى لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت ما تلقى امتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق
للامم قبلهم فسالت الله ان يوتينى شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال
حذيفة رضى الله عنه يجمع الله الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت

سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذى ذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله
عنه اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فيقول
زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويصيحون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون
ادم وغيره بعده فى الشفاعة لهم فكلهم يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود رضى الله عنه ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين عن النبى
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى
الله عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله فيه قال نعم فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى
يخرج الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين وعن انس
رضى الله عنه نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده من الشفاعة فى امته يوم القيامة
قال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى ان المقام المحمود هو
مقامه عليه السلم فى الشفاعة مذاهب السلف والصحابة والتابعين وجماعة ايمة المسلمين
وبذلك جاءت مفسرة فى صحيح الاخبار عنه عليه السلم وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة عن بعض
السلف يجب ان لا يثبت ذلك اذ لا يعضدها صحيح اثر ولا سند به نظر ولو صحت لكان لها
تاويل غير منكر لكن ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى صحاح الاثار يرده فلا يجب ان
يلتفت اليه مع انه لم يات فى كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفى اطلاق ظاهره منكر
من القول وشنعة وفى رواية انس وابى هريرة رضى الله عنهما وغيرهما دخل حديث بعضهم
فى حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم فى بعض
وعن ابى هريرة رضى الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون ادم عليه السلم فيقولون زاد بعضهم انت
ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملائكته وعلمك اسماء كل شى اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله ونهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فياتون
نوحا عليه السلم فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى قال فى رواية انس
رضى الله عنه ويذكر خطيئته التى اصاب سؤاله ربه بغير علم وفى رواية ابى
هريرة رضى الله عنه وقد كانت لى دعوة دعوتها على قومى اذهبوا الى غيرى اذهبوا
الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم عليه الصلوة والسلم فيقولون انت نبى الله
وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد
غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسى نفسى لست
لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفى رواية فانه عبد اتاه الله التوراة
وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التى اصاب وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فياتون عيسى عليه الصلوة والسلم فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى
الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربى فيوذن لى فاذا رايته وقعت ساجدا وفى رواية فاتى
تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها
الان يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا الآن
لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة رضى الله عنه فيقال يا محمد ارفع
راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسى فاقول يا رب امتى يا رب امتى
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم

شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال
مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة
او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل
ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل
وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية
قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا
من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد
وحذيفة رضي الله عنهم مثله قال فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيوذن له وتاتي
الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة
فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم
كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جواز الحديث وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم
يوضع للانبيا منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قايما بين يدي ربي
منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار
ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة
وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن
رواية انس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ
هذه الاثار ان شفاعته عليه افضل الصلاة والسلام ومقامه المحمود من
اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة
الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة
وحذيفة رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل
النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم في من قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها
واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم
انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة
ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد
ابن زياد وابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا
بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي

زرعة

زرعه عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم
هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السوال والرغبة جزاه الله احسن ما جزى
نبيا عن امته صلى الله عليه وسلم كثيرا **فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة
الرفيعة والكوثر والفضيلة** حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقرائي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري
حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن سلمة
حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال الله الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة
رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج
مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا
عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في
الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة رضي الله عنه فيما ذكر عليه الصلاة والسلام
عن ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابهن المسك وفيه ما
يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم **فصل** فان قلت
اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبيا
فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال
حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي اخبرنا ابن سفين حدثنا مسلم
حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول
حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا
الطريق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي
هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول ذلك ورسول الله بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
وفي حديثه الاخر فجاه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلما
في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث الا يفضل بينهم تفضيلا يودي
الى تنقيص بعضهم او الى الغض منهم لا سيما في جهة يونس عليه الصلاة والسلام اذ اخبر الله عنه

بما اخبر لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة والحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده
حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على
حد واحد اذ هى شى واحد لا يتفاضل وانما التفاضل فى زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة
عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتى
الحكم صبيا واوتى بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا وذلك
بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر
او يكون فى ذاته افضل واظهر وفضله فى ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته
واختصاصه من كلام او خلة او روية او ما شا الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ
الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح
فى نبوته او قدح فى اصطفايه وحط فى رتبته ووهن فى عصمته شفقة منه صلى الله
عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا
الى القايل نفسه اى لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم
تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا ان شا الله
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض **فصل فى اسمايه** صلى الله
عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه قال
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح
حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر
وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله فى كتابه محمدا
واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماه ثناه وطوى اثنا ذكره عظيم شكره
فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو
صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر فى تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط
غيره وسمى امته فى كتب انبيايه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين
الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان
يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبيا فمنع
الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس
على ضعيف القلب او يشك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم
الى ان شاع قبل وجوده عليه الصلاة والسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك رجاء ان يكون احدهم احدهم هو والله
اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة
الانصارى ومحمد بن برا البكرى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران
الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم ويقال اول من تسمى محمد ابن سفين
واليمن يقول بل محمد بن يحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة
او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى تحققت السمتان له

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد
انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على
الدين كله وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي
ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب
المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه الصلاة
والسلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه
انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر
غيره لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي
وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبيا قال داود عليه السلم اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروي عنه صلى الله
عليه وسلم لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شا الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما
وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين
روف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا وبعثه عليه الصلاة والسلم ربه تعالى رحمة
لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما
رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم
وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى رضي الله عنهما وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه الصلاة والسلم انه
قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم
هو في آل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جات من القابه عليه الصلاة والسلم اهل بيته
وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين
والروف الرحيم والامين وطه ويس وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله
والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي
الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب
انبيايه واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم
وسيد المرسلين وامام المتقين وقايد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللوا والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب
وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمايه

صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى
البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمايه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا من الفرس حمطايا
حاوي الحرم والخاتم والخاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبيا
والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانيه مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في
التوراه احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا
في الانجيل قال معه قضيب حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها
فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم يكن حينيذ الا للعرب والعمايم تيجان
العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شا الله تعالى

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من اسمايه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله
الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في
الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيايه
بكرامة خلعها عليهم من اسمايه كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابرهيم عليه السلام
بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى عليهما السلم ببر وموسى عليه الصلاة والسلام بكريم
وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل عليه السلم بصادق الوعد كما نطق
بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه
العزيز وعلى السنة انبيايه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم
نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل
نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا
الان ويفتح غلقه فمن اسمايه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد
واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن اسمايه تعالى الرءوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمومنين
رءوف رحيم ومن اسمايه الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين
اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين
وقال وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمايه تعالى النور ومعناه ذو
النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المومنين بالهداية
وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال
فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمايه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده
يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول
عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمايه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمايه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما

بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه الصلاة والسلم
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه عليه الصلاة والسلم
ومن اسمايه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شى دونه وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمايه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم
الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى صلى الله عليه
وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى عنه فى القران جبرية التكبر التى لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار
ومن اسمايه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشئ العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضى ابو بكر بن العلا المامور بالسوال غير النبى صلى الله
عليه وسلم والمسول الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السايل النبى صلى الله
عليه وسلم والمسول الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به ومن
اسمايه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق
من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدى الفتح
والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية
الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه وفيه من قول الله تعالى
وجعلناك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنايه على ربه وتعديد
مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق والمبتدى بهداية
الامة او المبدا المقدم فى الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه الصلوة والسلم كنت اول الانبيا
فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمايه تعالى فى الحديث الشكور ومعناه المثيب
على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلم فقال
انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون
عبدا شكورا اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة
من ذلك لقوله لين شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه
فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمايه تعالى الاول والاخر ومعناهما السا بق
للاشيا قبل وجودها والباقى بعد فنايها وحقيقته انه ليس له اول ولا اخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا فى الخلق واخرهم فى البعث وفسر بهذا
قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله
عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله نحن
الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع وانا خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمايه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله
بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة
والسلم ومن اسمايه تعالى الصادق فى الحديث الماثور وورد فى الحديث ايضا اسمه
صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق ومن اسمايه تعالى الولى والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلم
انا ولى كل مومن وقال الله تعالى النبى اولى بالمومنين وقال عليه الصلاة والسلام

من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى
بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القران والتوراه وامره بالعفو وقال خذ العفو
وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل عليه السلام وقد ساله عن قوله خذ العفو
قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراه والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس
بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمايه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن
اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدى من يشا الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في
تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدى
الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
قال تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق
على غيره تعالى ومن اسمايه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه
تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله
وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخره من
عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في
الدعاء امين انه اسم من اسما الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله امينا فقال مطاع
ثم امين وكان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله

	ثم اغتدى بيتك المهيمن	من خندف علياء تحتها النطق	

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى
يؤمن بالله ويؤمن للمومنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المومن
ومن اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمى
بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع في كتب
الانبيا عليهم السلام في اسمايه عليه الصلاة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه
عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر
من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنيه ومن اسمايه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة
العزة وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا
اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمايه تعالى فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم **فصل قال القاضي ابو الفضل** وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف
الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان
نعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلى صفاته
لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق كما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمايه وكفى في هذا قوله ليس كمثله
شي ولله در من قال من العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطى رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت

الذات

الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم
القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق
وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة
ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني
من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل
ومن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول
ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه
لها بلا امزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شي والثاني
تفسير لقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشي
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه
وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول
من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان
نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه
واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما
وقع في مشاهير كتب الايمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد
سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله
وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جيته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي
السنجي عن ابي محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد
بن جعفر وابن ابي عدي ويحيي بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن
ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي رضي الله عنه اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم
وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال اعد علي كلماتك هولاء فلقد بلغن
قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق
فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا
البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا
من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه
رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر

الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى
والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شي الا
كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويُغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحه

لو لم تكن فيه ايات مبينة	لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد اتينا على ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزات القران وما فيه من برهان ودلالة
فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمايه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتدا او دون واسطه لو شا كما حكي عن سنته في بعض الانبيا
عليهم السلم وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجايز
ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر
كالملايكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا
جاز هذا ولم يستحيل وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع
ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قايم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفا في مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو
الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا بما اطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه
ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسول
هو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من
ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه
الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه واختلفت العلماء هل النبي والرسول بمعنى او
بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا
وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص
النبوة والرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارها
في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب
بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح الذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل
ادم عليه السلم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عن صلى الله
عليه وسلم ان الانبياء مايه الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل ثلثماية وثلاثة
عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات
خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان
النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواعات الالهامات وحيا تشبيها بالوحي
الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ وحيا لسرعة اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا
الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليايهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي
القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه
دون واسطه فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جات به الانبيا عليهم السلم معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل

الله دل

لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راى
بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقا
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله وتحديه
من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه
وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل
معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط
فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا
اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به وظهوره
من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا جاحد فهو كانكاره محمد صلى الله عليه وسلم في
الدنيا وانما جا اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم
ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ايمتنا ويجري هذا
المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه الصلاة والسلام ايات وخوارق عادات ان لم
يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف
مومن ولا كافر انه قد جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا
ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع
الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير
الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات
الماثورة عنه عليه الصلوة والسلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر
عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرا الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على
قلوب ضعفاء المومنين بل يرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء و
تكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن من حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان
ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يوثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة
ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر
بعضهم على بعض اشيا رواها من السنن والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا ووهمه
في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف
الطارية واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور

الازمان الاظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا والطاعن عليها الا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا
حق لا غطا عليه وقد قال به من ايمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما الله تعالى
وما عندي اوجب قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة
مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل
وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر كون بغداذ موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من
الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقها من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراة ام القران في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء
النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي رحمه الله تعالى يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضو واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله تعالى
يخالفهما رضي الله عنهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى
اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات
نزيد الكلام فيها بيانا ان شا الله تعالى **فصل في اعجاز القران** اعلم وفقنا الله
واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة
ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام
قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في
المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون فياتون
من ذلك بالسحر الحلال ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم يتوسلون به
اجمل من سمط اللال فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن
ويجريون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه
خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في
البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل
باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث و
السمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم
بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته
وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه
وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما
كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع
في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم
في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رووس الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل
فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لين اجتمعت الانس والجن
على

على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى
اسهل ووضع الباطل على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثانى فضل وبينهما شاو
بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم
ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم
وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب
والاغترار بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة عن كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف
على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع اخر رجلا يقرا فلما استياسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد شهادة
الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من
اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم عليه السلم
من احوال الدنيا والاخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى
الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول
الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع فى اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القران من قبل النبى صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه فى فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز
المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى
ولكم فى القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع
بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعى ماءك
ويا سماء اقلعى الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها
من الاى بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها
وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها ثم هو فى
سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام
ويذهب ماء البيان اية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف عليه السلم على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها
حتى تكاد كل واحدة تنسى فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثانى من اعجازه صورة نظمه العجيب
والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت
مقاطع اياته وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد
مماثلة شىء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى جنس
كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار منى والله ما يشبه

الذي يقول شيا من هذا وفي خبر الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضًا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن وما هو
بزمزمته ولا سجعه قالوا هو مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه قريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقايلين
من هذا شيا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به بين
المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون
الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدًا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن
الحرث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيسًا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرًا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجا الى
ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتيم وما يلتيم على
لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل
واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل احد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ايمة المحققين وذهب
بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه
الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعًا ومن تفنن في
علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم تخف عليه ما قلناه وقد
اختلف ايمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته
ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدرة البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه
وعلى الطريقتين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر
وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجي بشر
مثلهم بشي ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف
واباية الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارًا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت
من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن
لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما
عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما خلوا في ذلك خبية من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه
من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين
كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جا نصر الله والفتح
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا
فما مات عليه السلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض
ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام
زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن

نزلنا

نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسماية عام فما قدروا
على اطفاء شي من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه
قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآيه وقوله هو الذي ارسل
رسوله بالهدى الآيه وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآيه فكان كل ذلك وما فيه
من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآيه وقوله ومن الذين
هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين الآيه وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر واذ يعدكم
الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك
المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انبا به
من اخبار القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على
وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا
انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل
حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه القران ما يتلو
عليهم منه ذكرا كقصص الانبيا عليهم السلم مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبيا وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم وموسى عليهما الصلوة والسلم مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما
ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك
عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في
كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه الصلاة والسلم وتعنيتهم اياه عن
اخبار انبيايهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم
مثل سوالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وحكم الرجم وما حرم اسرايل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم
في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما
اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف
بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض
المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعي الى احضار ممكن غير ممتنع
فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله
من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة
لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم
في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم
الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على
صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه
فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه
اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك
معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من

يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة
نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا
منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن
قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب
الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق
قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة
خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى
ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان القران صعب مستصعب
من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا
وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل
على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره كما روي عن نصراني
انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها اول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في
الصحيح عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان
يطير وفي رواية اخرى وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي
صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عنه وفي
رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم
يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط
فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف
بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا
فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة
حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة سنة وخمس وثلثين سنة
لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وحملة علم اللسان وايمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي
للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام
ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الايمة ومقلدي
الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته
يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس
بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم

القرآن

القران بانه لا تخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس
بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا يزيغ به الاهواء لا يلتبس به الالسنة هو الذى لم ينته الجن
حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم
تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط
بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذى
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذى انشاها اول مرة ولو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم
واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من
شىء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل وقال
عليه الصلاة والسلم ان الله انزل هذا القران امرا وزجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نباكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى
عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضى عجايبه ولا تخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضى الله عنه وقال فيه
ولا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والاخرين وفى الحديث قال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلم
انى منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلوم
وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال
تعالى ان هذا القران يقص على بنى اسرايل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس
وهذه الاية تجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب قبله التى الفاظها على
الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن
وصفه وايجازه وبلاغته واثنا هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم
يعهد ولم يكن فى حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع فى الاذان
واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلمه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وساير الامم لا تحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان فى اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص
من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
الى غير ذلك من فوايده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملايهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزى الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هولاء مثل مصابهم
وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ فى ذكر داود عليه
السلم وقصص الانبياء كل هذا فى اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التى انطوت عليه
الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة
لم نذكرها اذ اكثرها داخل فى باب بلاغته فلا يجب ان تعد فنا منفردا فى اعجازه الا فى باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه وفضايله لا اعجازه ..

وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي
لا تنقضي وبالله نستعين التوفيق **فصل في انشقاق القمر** وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه حدثنا الحسين
ابن محمد الحافظ من كتابه قال حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي قال حدثنا
المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن
الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن
ابن مسعود رضي الله عنه الاسود قال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق
انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر
فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا
فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا
سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس
وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي من رواية
ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله
عنه سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين
حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم
القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم
ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما مجاهد ورواه عن حذيفة رضي الله
عنه ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة
والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض
اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه
انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كان علينا به حجة اذ ليس القمر
في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد
ما هو مقابلهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو
والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد
ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان
بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس
رضي الله عنها من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل
العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في
خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا
ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة
المغازي في روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة
والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون

وقد ولى

وقد ولى النهار ولم يجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس فصـــل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث
في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود رضى الله عنهم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه
قال حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى
حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضى الله
عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس
ان يتوضوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم
ورواه ايضا عن انس رضى الله عنه قتاده وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال
كم كنتم قال زها ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت
والحسن عن انس رضى الله عنه وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه
ايضا وهو نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضى الله عنه ففي الصحيح عنه من رواية علقمه بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من
معه فضل ماء فاتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضى الله عنه عطش الناس يوم
الحديبيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس
عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه
كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس
وعن جابر وفيه انه كان بالحديبيه وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر نادِ الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم تجد الا قطرة في عزلا شجب فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري
ما هو وقال نادِ بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه كما امر وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من
بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا
فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وعن
الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء كانت معه وقيل ما معنا يا رسول الله
ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيون ويتوضون
ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين رضى الله عنه ومثل هذا في هذه المواطن
الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه لما
جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهولاء قد رووا هذا واشا
عوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له فصـــل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء
ببركته صلى الله عليه وسلم وانبعاثه بمسه ودعوته مما روي مالك في الموطا عن معاذ
ابن جبل رضى الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم قد وردوا العين وهي تبض بشي من ماء
مثل الشراك فغرفوا من الماء بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن
اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة
ان ترى ما ها هنا قد ملى جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضى الله عنهما وحديثه
اتم في قصة الحديبيه وهم اربع عشرة مائة وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم
نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البرا رضى الله عنه
واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة رضى الله عنه فاما دعا واما بصق فيها فجاشت
فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في

هنا البركة من نسخة
بالبا المعجزة بعد

الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن
وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا
بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملوا كل اناء
معهم فخيل لي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عن عمران بن حصين وذكر
الطبري حديث ابي قتادة رضي الله عنه على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه ايات ومعجزات للنبي
صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء
ثلاث ماية وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة رضي الله عنه احفظ علي ميضاتك فانه سيكون
لها نبا وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه حين اصاب النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما تجدان امراة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما وامر الناس فملوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيا الا ملوه قال عمران ويخيل لي انهما لم
يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ
من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة دعفقة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا
ندغفقه اربع عشرة ماية وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من دغفقة م
العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السما فانسكبت فملوا ما معهم من انية ولم تجاوز
العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي
المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي
الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر
وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة رضي الله عنه المشهور واطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء انس رضي الله عنه بهن تحت يده
اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر رضي الله عنه في اطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فاقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وحديث ابي ايوب
رضي الله عنه انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى
تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي ماية وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب رضي
الله عنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلثين وماية وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم
الله ما من الثلاثين وماية الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه
ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس

مع

مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجا الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز
ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الاملوه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني
النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة
فاكلنا ما شينا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا
وبقي كانه لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان
يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر فجعل
حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان
وكان القوم احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء
ثلثماية وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان فاطمة عليها السلام طبخت
قدرا لغدايهما ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدا معهما فامرها فغرفت منها لجميع
نسايه صحفة صحفة ثم غرفت له عليه الصلاة والسلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض
قالت فاكلنا منها ما شا الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربع ماية راكب من احمس
فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض
من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
رضي الله عنه الخبر بعينه الا انه قال اربع ماية راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في
دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين
كفاف دينهم فجاه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها
فمشا فيها ودعى فاوفى منها جابر رضي الله عنه غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي
رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة رضي الله عنه اصاب
الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شي قلت نعم شي من التمر في المزود قال
فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة وبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم
عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جيت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه
فقبضت على اكثر مما جيت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
رضي الله عنهما الى ان قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك
التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع
عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه
وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن
فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان
يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها
واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خلد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا
يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها
في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث
الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في
راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضله فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى
الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا
زهاء ثلاث مائة حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى
الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع
فما ادري حين وضعت كان اكثر او حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح
وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم
واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر
فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ
الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن
عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال
هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك فدعاها
فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها
وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض
تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول
الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي
اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة تسجد لزوجها قال فايذن لي ان اقبل يديك
ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل ذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال
التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا
والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد رضي الله عنهما نحوه قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات
متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما
قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سبابة رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في
مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديين فانضما وفي رواية اشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول ونحوه **قال القاضي ابو الفضل** رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر
وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن

عباس

عباس رضي الله عنهم وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها ورواها عنهم من
التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار
في غزوة الطايف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على
ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا فقال اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت
بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل
عليه السلام قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله
عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
وعن الحسن انه عليه الصلوة والسلام شكى الى ربه من قومه وانهم تخوفونه وساله اية يعلم بها ان
لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ايت وادي كذا فان فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك ففعل فجا يخط
الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا
رب علمت ان لا مخافة علي ونحوه عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني
بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت
ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله فقال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل في قصة
حنين الجذع** ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة
وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة رضي الله عنهم كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار
وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه وكثر بكاء الناس لما راوا
به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت
زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده
لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن
انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي
فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي رضي الله عنه
فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال
يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شيت اردك الى الحايط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شيت اغرسك في الجنة فياكل اوليا الله من ثمرك
ثم اصغى النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اوليا
الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم
قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله
الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى
لقايه رواه عن جابر رضي الله عنه حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو
نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك رضي الله
عنه الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما نافع وابو حية ورواه
ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد رضي الله عنه وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما
وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد رضي الله عنه وكثير بن زيد عن المطلب

وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه عن الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى
من لم نذكره ومن دون هذا المورد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل
ومثل هذا في ساير الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي قال حدثنا القاضي ابو
الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد
الزبيري حدثنا اسرايل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال لقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا ناكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر رضي
الله عنه فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان
رضي الله عنهما وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه
عنه عليه الصلاة والسلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عايشة رضي
الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد
له وفي حديث العباس رضي الله عنه اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة و
دعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين
وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان
وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه في حرا وزاد معه وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم
وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعد قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذب بي الله فقال حرا الي يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير
المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت
ستون وثلثماية صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله
في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدي الباطل وما
يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج
الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا له ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة
تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال الفي اليه فصل في الايات
في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابي حدثنا
الحافظ القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد
عن عايشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي
عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب

وطعم

وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة في بعضه اطول وروى حديث الذيب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها والمكلم للذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضي الله عنه وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفين بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فتعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفين واللات والعزى لان ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس رضي الله عنه لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيودي عنك امانتك وردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا فجا بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم قال وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شي الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندايها لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد ابن ارقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى

الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس
او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة رضي الله عنها كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب
ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ رضي الله عنه
باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه رضي الله عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى
جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على
الطريق واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها
فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام
الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه
كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بير جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكر وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثماية فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند
ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه الصلاة
والسلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا
وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الباب كثير وقد جينا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الايمة ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه اليهم **فصل في احيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع
وشهادتهم له بالنبوة** حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد
محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا
ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيي حدثنا احمد بن سعيد
حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن
عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة
مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني
انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه
قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله رضي
الله عنه وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه
فتجاوز عنها وفي الحديث عن انس رضي الله عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وفي رواية ابن
عباس رضي الله عنهما انه دفعها الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله
الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي انه قتله وحكى ابن اسحق ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله من النبوة
وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته

وقد ذكرنا

ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله عنهم وروى الحديث
البزار عن ابي سعيد رضي الله عنه فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله
فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وقد خرج حديث
الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر
في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف
واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب
الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة اولا ثم
الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا
لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة
عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي
من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع
فقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان
نقله والتهمم به اوكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيا
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع
ورفعه عن فهد بن عطية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب
لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رايت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف
بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة
في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في
وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول
لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما
وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز
عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة فما برحنا حتى
كشف الثوب عن وجهه فطعم فطعمناه وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة فسمعناه
حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله وابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر
الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ان زيد بن
خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوا بين العشائين والنساء
يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي
وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق صدق وذكر ابا بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم عاد ميتا كما كان **فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات** اخبرنا ابو الحسن
علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا
ابو محمد بن النحاس حدثنا ابو الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكاي عن محمد
ابن اسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها
قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على
وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة
عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري رضي الله

كان له صلى الله عليه وسلم سبعة شياه ... وهذه ... واحد ... عنها

عنه عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح
وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة
يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله
عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزى
به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال
فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد
وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فاصبح باريا ونفث على ضربة بساق سلمة
ابن الاكوع رضي الله عنه يوم خيبر فبريت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبريت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبري
مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم
بدر يد معوذ بن عفراء فجا يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه
ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة
من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
ان تسقيه وتمسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله
عنهما جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي
وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها النبي
صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل
فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في
فيه ولم يكن يسئل شيا فيمنعه فلما استقر في جوفها القى عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة
اشد حياء منها **فصل في اجابة دعايه** وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى
الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده
وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا
عبد الله بن ابي الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال
قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما
اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون
اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخا العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي
هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه
ومات فحفر الذهب من تركته بالفووس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا
وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين
الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين
عبدا وتصدق هو مرة بعير فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها بما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعوية رضي الله عنه بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام

لهم

بعمر رضي الله عنه او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر رضي الله عنه واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعا
فدعا فجات سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقط له سن وفي رواية فكان
احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل
اكثر من هذا ودعا لابن عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
فسمي بعد الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى
شيا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غراير من المال ودعا بمثله لعروة بن
ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري
في حديثه في تاريخه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وقال لابي قتادة رضي الله عنه افلح
وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة
وروي مثل هذا للغرقد ايضا ونزت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه
ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفا الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الله
ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع [نورسطع]
له بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثله فتحول الى طرف سوطه فكان يضي في الليلة
المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا
على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة
في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لامراة اكلك
الاسد فاكلها وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه
المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعايه على قريش حين وضعوا السلا على [صوابه حين]
رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن
ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اني لا فراه فقال كذلك كن فلم
يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
الارض مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع [الصد جانب الواد]
فرس وهي التي شهد فيها خزيمة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي
رافعة وهذا الباب اكثر من ان تحاط به **فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له**
فيما باشره ولمسه اخبرنا احمد بن محمد قال حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي
سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا
ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه ان اهل المدينة فزعوا مرة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف به او به قطاف وقال غيره
يبطا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر رضي الله عنه وكان
قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه
وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن
عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد
رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما
انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى
نستشفي بها حدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من
قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري
القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها

ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بير قبا فما نزفت بعد وبزق في بير كانت في دار
انس رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه
اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام
مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا
تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شيء
فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين
اوقية من ذهب فقام عليه الصلاة والسلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا
تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم
النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية
وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا
عطشت وبردها اذا ظميت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمة مطيرة
عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشه رضي الله عنه جزل حطب وقال اضرب
به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل
به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الرده وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد
واعنز معوية بن ثور وشاة انس رضي عنه وغنم حليمه مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه وكانت لم ينز عليها الفحل وشاة المقداد رضي الله عنه ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب
وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمه ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن
ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك
وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسايه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة
سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود
فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبه الجهني ومسح وجه اخر فما زال
على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما
ينظر في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظله يوتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة
من الجمال مابها ومسح على راس صبي به عاهة فبري واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان
المرضى والمجانين فبروا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل
فبرا وعن طاوس لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا
ذهب المس والجنون ومج في دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من
تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا
عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة رضي الله عنه النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه

ثم امر

ثم امره بضمه فنعل فما نسي شيئاً بعدُ وما يروى عنه في هذا كثير وضرب في صدر جرير بن عبد الله
رضي الله عنه ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميماً ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولاً
وتماماً **فصـــل** ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعرهُ ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازةً وقرأته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري
حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير
عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً
فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب
عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعداً
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طاير جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماً وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام
والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى
وتفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من
زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط
ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء و
خدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر بعده وذكر
ان الروم ذات القرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءهُ وذلك ما لم تملكه امة من الامم
ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب
الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية ابي امامة
لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول
الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية
مال الله دولاً وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما
ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي تخضب هذه من
هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤهُ النار فكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وطايفة ممن تنسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأُ
المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصاً وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً وبمحاربة الزبير لعلي
رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو
بعد ما كادت فنبحت على عايشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عماراً تقتله الفئة
الباغية فقتله اصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويل للناس منك وويل
لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين إنه من اهل النار فقتل نفسه وقال

فى جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا فى النار وكان بعضهم يسال عن بعض
فكان سمرة رضى الله عنه اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال الخلافة
فى قريش ولن يزال هذا الامر فى قريش ما اقاموا الدين وقال يكون فى ثقيف كذاب ومبير
فراوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة رضى الله عنها اول اهله لحوقا
به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على وقال
ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروة وفسادا فى الامة واخبر بشان اويس القرنى وبامراء يوخرون الصلاة عن
وقتها وسيكون فى امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفى حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا
احدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله وعلى رسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم
العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان
وقال خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتى بعد ذلك قوم يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتى زمان الا والذى
بعده شر منه وقال هلاك امتى على يدى اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضى الله عنه رواية
لو شيت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه
الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم
جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذى فيهم وان
سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم روس الناس والعراة الحفاة يتبارون فى البنيان
وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان
الذى يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على
الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح فى غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضى الله عنه فذهب القوم يعنى ماتوا وبقيت
انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذى غل خرزا من خرز يهود فوجدت فى رحله وبالذى
غل الشملة وحيث هى ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى
اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا
لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذى تركه عمه
العباس رضى الله عنه عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم بانه
سيقتل ابى بن خلف وفى عتبة بن ابى لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما
قال وقال فى الحسن رضى الله عنه ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد
رضى الله عنه لعلك تخلف حتى تنتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل موتة
يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ
ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر اباذر
رضى الله عنه بتطريده كما كان ووجده فى المسجد نايما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن
المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج
بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال فى زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده
فى الجهاد وقال فى الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيد فقتل على
وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا البست
سوارى كسرى فلما اتى بهما عمر رضى الله عنه البسهما اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجى اليها خزاين الارض
تخسف بها يعنى بغداد وقال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة
من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابى بكر

فلما جاء عمير الى

يوم

يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم
وقال لخالد رضي الله عنه حين وجهه لأكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور
كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه الصلاة والسلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المومنين حتى ان
كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء
واعلامه بصفة السحر الذي سحره لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع
نخلة ذكر وانه القي في بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت
فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر
الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت
مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا
يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها
في الصحيح وعند الايمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا صلى الله عليه وسلم اعداءه المشركين وقيل غير هذا
وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية اخبرنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا
ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد الله بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا
الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله عنها قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد
عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له
اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت
يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد
رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه وان النبي صلى الله عليه
وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية
انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث
وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت
تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان
يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر الا وهو قايم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شيت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع
الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر انه فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطوها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق
عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من
حجارة فلما وقفت عليهما لم ترَ الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر ان صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم
ابن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتاً خلفنا
ماظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشياً علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله
ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن
عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا
منزله فتسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرّا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته
عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية
ابن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان
يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك
الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر
الجعايل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فساخت قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى
سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يلتفت وقال للنبي
صلى الله عليه وسلم اُتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانيةً الى ركبتيها وخر عنها
فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم اماناً كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر رضي الله عنه واخبرهم بالاخبار وامر النبي صلى
الله عليه وسلم الا يترك احداً يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال
لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر
اخر ان راعياً عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشاً فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما
يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى
الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض له دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان
ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلم لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي
ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله تعالى على بصره فلم ير النبي صلى الله
عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يراهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى
بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح
عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب
اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي
الله عنهم وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته
حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد
قريشاً لئن راى محمداً يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب
منه ولى هارباً ناكصاً على عقبيه متقياً بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملو ناراً
كدت اهوي فيه وابصرت هولاً عظيماً وخفق اجنحة قد ملات الارض فقال عليه الصلاة والسلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً عضواً ثم انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان

ليطفى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبى ادركه يوم حنين وكان حمزة رضى الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثارى من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بى النبى صلى الله عليه وسلم فدعانى فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى فما رفعها الا وهو احب الخلق الى وقال لى ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفى واقيه بنفسى ولو لقيت ابى تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو اردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شئ فضحك واستغفر لى ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الى منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيا فلما كلمه فى ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه افضل الصلاة والسلام

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعى سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف رايهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما فى كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعانى اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحه والحكم البينه لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شئ مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبايث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبادة والفرايض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة واصولا فى علمهم كقوله عليه الصلاة والسلام الرويا لاول عابر وهى على رجل طاير وقوله الرويا ثلاث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه ورويا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب وقوله اصل كل داء البرده وما روى عنه فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه من قوله المعده حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطنى وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفى العود الهندى سبعة اشفيه وقوله ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سيل عن سبا ارجل هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه فى نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض وقوله فى الحوض زواياه سوا وقوله فى حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسماية فى الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم

كان لا يكتب ولكنه اوتى علم كل شى حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رضى
الله عنهما وقوله فى الحديث الاخر الذى يروى عن معوية رضى الله عنه انه كان يكتب بين
يديه عليه الصلاة والسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم البا وفرق السين ولا
تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة
والسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراه واما علمه عليه الصلاة
والسلام بلغات العرب وحفظه معانى اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه كثيرا من لغات الامم كقوله فى الحديث سنه سنه وهى حسنة بالحبشيه العرب
وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه اشكنب دردم اى
وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس
الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب
ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراة لشى من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشى منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
الاية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة
من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشى مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة فى
دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذى
يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه
اما سلمان او العبد الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا
ينعد من الايات واما الرومى فكان اسلم وكان يقرا على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى
اسمه وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم
الفصحاء اللد والخطبا اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمى الكن نعم وقد كان سلمان رضى الله عنه او بلعام الرومى او يعيش
او جبر او يسار على اختلافهم فى اسمه بين اظهرهم ويكلمونهم مدا اعمارهم فهل حكى عن واحد
منهم شى من مثل ما كان يجى به محمد صلى الله عليه وسلم وكرم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شى من
ذلك وما منع العدو حينيذ على كثرة عدده ودوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ
عنه ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحرث بما كان يمخرق به من
اخبار كتبه ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه على عادة ابنايهم لم يخرج
عن بلادهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة تحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجى ما اتى
فى معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر فصل ومن خصايصه عليه
افضل السلام والسلام وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملايكه والجن وامداد الله له بالملايكه
وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل الاية وقال اذ يوحى ربك الى الملايكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون الاية حدثنا سفين بن العاص الفقيه بسماعى عليه حدثنا ابو الليث السمرقندى
حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا
عبيد الله بن معاذ حدثنا ابى حدثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن
عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل عليه السلام فى صورته له ستماية
جناح والخبر فى محادثته مع جبريل واسرافيل وميكايل وغيرهم من الملايكه عليهم السلام
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة

من اصحابه

من اصحابه في مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه الصلاة والسلم في صورة رجل يساله
عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس رضي الله عنهما واسامة رضي الله عنه وغيرهما
عنده جبريل عليه السلم في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكايل
عليهما السلام في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملايكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الروس من الكفار ولا يرون الضارب
وراى ابو سفين بن الحرث رضي الله عنه يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض
ما يقوم لها شي وقد كانت الملايكة تصافح عمران بن الحصين رضي الله عنه واري النبي صلى
الله عليه وسلم حمزة جبريل عليه السلم في الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير رضي
الله عنه لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيثم بن لاقيس بن
ابليس فذكر انه لقي نوحا عليه السلم ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا
من القران وذكر الواقدي قتل خالد رضي الله عنه عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها
عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه الصلاة والسلم
ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا
ينبغي الاية فرده الله خاسيا وهذا باب واسع فصل ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته
ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه
وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر
تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفين بن مجاشع وقيس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي
يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلما
يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه
العلما وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومه عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسيد والزبير بن
باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا
كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم
ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى
ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران
وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا
ينعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له
بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك
معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره
من العجايب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي
خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور

حتى ما تنظر

عند ولادته حتى ما انتظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه الصلاة
والسلام على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة ومن وجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجايب ليلة
مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا
واذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح
صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه الصلاة
والسلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغضه الاصنام والعفه عن
امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء
الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال
الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة رضي الله عنها ونساها راينه لما قدم و
ملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد
روي ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وايعنت
هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى
اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته
ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض
الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة
الملايكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه السلم عليه ولم يستاذن
على غيره قبله ونداهم الذي سمعوه لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية
الخضر والملايكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر رضي الله عنه بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل قال القاضي ابو الفضل**
رضي الله عنه قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا
من غريبه مما ذكره مشاهير الايمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب
هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم اظهر من ساير معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا
وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء عليهم السلم تقف على ذلك ان شا الله واما كونها
كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين سورة انا
اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد
اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله
تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزا القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم من بوجهين طريق
بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا
الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه

التجزئة

بتجزيه الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجزة فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه
الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا فى حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته
ولا يحوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلم
فى هذه الابواب عما دل على امره مما اشرنا الى جملة يبلغ نحوا من هذا الوجه الثانى وضوح
معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل ازمانهم وبحسب الفن الذى
سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلم غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى عليه
السلم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن فى قدرتهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلم اغنا ما كان الطب واوفر ما كان اهله
فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم تحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص
دون معالجة ولا طب وهكذا ساير معجزات الانبياء عليهم السلم ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل
عليه القران الخارق لهذه الاربعة الفصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لا يهتدوا فى المنظوم الى طريقه ولا علموا فى
اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل
الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم
وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانبا الانبياء عليهم السلم والامم البايدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز فيها ثم
بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها فى معجزات القران ثابتة
الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتى لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور
مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة
فى اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وساير معجزات الرسل عليهم السلام انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه الصلاة
والسلام بقوله فيما اخبرنا القاضى الشهيد ابو على قال حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا ابو
ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قال اخبرنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا عبد
العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى اكثرهم تابعا يوم القيامة وهذا معنى الحديث عند
بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء فى تاويل هذا
الحديث وظهور معجزة نبينا عليه الصلاة والسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها
باشيا طمعوا فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم
اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل
والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفى هذا التاويل الثانى ما يغمض الجفن عليه ويغضى
ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الاتيان بما فى مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلا
والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم

منعوا عن شىء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالى الجوينى وغيره قال
وهذا عندنا ابلغ فى خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد
يسبق الى بال الناظر بدارًا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن
وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدى للخلايق سنين من السنين بكلام من جنس كلامهم
لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبى ايتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم
فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد
غاب عن بعض العلماء وجه ظهور ايته على ساير ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة
افهام العرب وذكا البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك
بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبنى اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا
من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامرى ذلك فى
العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن
نومن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو
خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى
ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم
الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته
فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا اباءهم وابناءهم فى نصرته واتى فى معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج
لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن
ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين القسم الثانى فيما يجب على
الانام من حقوقه صلى الله عليه وسلم وكرم قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا
قسم لخصنا فيه الكلام فى اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها فى وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة
قبره عليه افضل الصلاة والسلام الباب الاول فى فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم اذ تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا
وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وقال فامنوا بالله ورسوله
النبى الامى الاية فالايمان بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا
به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا حدثنا ابو محمد الخشنى الفقيه بقراتى عليه قال حدثنا الامام ابو على الطبرى
حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا ابو الحسين
حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن
ابن يعقوب عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويومنوا بى وبما جيت به فاذا فعلوا ذلك
عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله تعالى والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق بنبوته ورسالة الله له وتصديقه
فى جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك اللسان تم
الايمان به والتصديق كما ورد فى هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا
فى حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرنى عن الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم ساله عن الايمان

هذا نصف الكتاب

فقال

فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد
بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق بذلك
ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم
يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي
عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم تجعل للبشر سبيل الى السرائر
ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحكم عليها وذم ذلك وقال هلا
شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل عليه السلام الشهادة من
الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه
ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول
والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم تخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط
بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما
يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل
هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن
حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا
يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام
والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح
فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين
حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي
بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى

فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به صلى الله عليه
وسلم وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه
تهتدوا وقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا
ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه
قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سننه والتسليم لما جاء به وقالوا وما
ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا ومن يطع الرسول في
سننه يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما اتاكم
الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له
بالربوبية والنبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني
ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن
عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى اذ الله سبحانه
امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم

يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته يوم لا ينفعهم التمنى وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وفى الحديث الاخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم انى رايت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جيت به ومثل من عصانى وكذب ما جيت به من الحق وفى الحديث الاخر فى مثله كمثل من بنا دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المادبة ومن لم تجب الداعى لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعى محمد فمن اطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله تعالى ومن عصا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن على الترمذى الاسوة فى الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتدا به والاتباع لسنته وترك مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل فى قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنه فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الاية وروى ان الاية نزلت فى كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله اى تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله تعالى عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القايل

تعصى الاله وانت تظهر حبه	هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته	ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له رحمته له وارادته الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيرى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتى بعد فى ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث بقراتى عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو حفص الجهنى حدثنا ابو بكر الاجرى حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزى حدثنا داوود ابن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمى وحجر الكلاعى عن العرباض بن سارية رضى الله عنه فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وزاد فى حديث جابر رضى الله عنه بمعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث ابى رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه وفى حديث عايشه رضى الله عنها صنع رسول الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم شيئا يرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشى اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم
له خشية وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثى وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثى
خسر الدنيا والاخرة وامرت امتى ان ياخذوا بقولى ويطيعوا امرى ويتبعوا سنتى فمن رضى
بقولى فقد رضى بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال صلى الله عليه
وسلم من اقتدى بى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد
صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة
او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابى الحسن قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل فى خير من
عمل كثير فى بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن
ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتى عند فساد امتى له اجر
ماية شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرايل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان
امتى تفترق على ثلث وسبعين كلها فى النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذى انا
عليه اليوم واصحابى وعن انس رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من احيا سنتى فقد احيانى
ومن احيانى كان معى وعن عمرو بن عوف المزنى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتى قد اميتت بعدى فان له من الاجر مثل من عمل بها من
غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل
اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن السلف والايمة
من اتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى
ابن عبد الرحمن بن ابى سلمة الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد
ابن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن ميسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى
ابن يحيى حدثنا ملك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القران ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخى ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم
شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله
وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى راى من خالفها من اقتدى
بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى
واصلاه جهنم وسات مصيرا وقال الحسن بن ابى الحسن رحمه الله تعالى عمل قليل فى سنة
خير من عمل كثير فى بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتعلم السنة والفرايض واللحن اى اللغة
وقال ان ناسا يجادلونكم يعنى بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب
الله تعالى وفى خبره حين صلى بذى الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصنع وعن على رضى الله عنه حين قرن فقال له عثمان رضى الله عنه ترى
انى انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد
من الناس وعنه الا انى لست بنبى ولا يوحى الى ولكنى اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ما استطعت وقال ابن مسعود يقول القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى
البدعة وقال ابن عمر رضى الله عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
ابى بن كعب رضى الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله فى نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه فاقشعر جلده من خشية الله تعالى الا كان مثله كمثل شجرة

قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما
تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء عليهم السلام
وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر رضي الله عنه بحال بلده وكثرة لصوصه
هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال الشافعي رضي الله عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة
ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري رحمة الله عليه اصول
مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال
واخلاص النية في جميع الافعال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال كنت يوما مع
جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام
الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله تعالى قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل عليه السلام
فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا اخبرنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا اخبرنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا سحنون
ابن سعيد حدثنا ابن القسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في
صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في
امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم
حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم الى غير نبيهم او كتاب غير
كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال صلى الله عليه
وسلم هلك المتنطعون وقال ابو بكر رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ **الباب**
الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام
محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقها صلى الله عليه وسلم اذ قرع تعالى من كان
ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله
بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ

فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو
محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب
ابن ابرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين
وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من
كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر رضي الله عنه والذي انزل
عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا
عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل في ثواب محبته** حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن
مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا
صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول
الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس رضي الله عنه وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيامة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث اخر
كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي وامي
اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وفي
حديث انس رضي الله عنه من احبني كان معي في الجنة **فصل في ما روي عن السلف**
والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد قال
حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله
وماله ومثله عن ابي ذر رضي الله عنه وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم
يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي
الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان
اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك
ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس رضي الله عنهما ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب

لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل
ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا خيرًا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارينه حتى انظر اليه فلما راته
قالت كل مصيبة بعدك جلل وسيل على بن ابى طالب رضى الله عنه كيف كان حبكم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر رضى الله عنه ليلة يحرس فراى
مصباحًا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفًا وتقول

على محمد صلاة الابرار ✽ صلى عليه الطيبون الاخيار ✽ قد كنت قوامًا بكا بالاسحار
يا ليت شعرى والمنايا اطوار ✽ هل تجمعنى وحبيبى الدار ✽ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم

فجلس عمر رضى الله عنهما يبكى وفى الحكاية طول وروى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزول عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال رضى الله عنه نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدًا القى الاحبة
محمدًا وحزبه ويروى ان امراة قالت لعايشة رضى الله عنها اكشفى لى قبر النبى صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنه من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفين بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدًا الآن عندنا مكانك
نضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدًا صلى الله عليه وسلم الآن فى
مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى اهلى فقال ابو سفين ما رايت من الناس
احدًا يحب احدًا كحب اصحاب محمد محمدًا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
كانت المراة اذا اتت النبى صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بارض عن ارض ~~وما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض~~ وما خرجت الا
حبًا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير رضى الله عنهم بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله ما علمت صوامًا قوامًا تحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فصل فى
علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيا اثره واثر موافقته والا لم يكن
صادقًا فى حبه وكان مدعيًا فالصادق فى حب النبى صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك
عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب
نواهيه والتادب بادابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قول الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه
وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واسخاط العباد فى رضى الله حدثنا القاضى ابو على الحافظ قال حدثنا ابو الحسين الصيرفى
وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد
ابن محبوب حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم
حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن ابى زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال انس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت
ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لى يا بنى وذلك من سنتى ومن احيا
سنتى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله
ورسوله ومن خالفها فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله
قوله صلى الله عليه وسلم للذى حده فى الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتى به فقال
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبى صلى الله عليه
وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقايه فكل
حبيب يحب لقا حبيبه وفى حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون
غدًا نلقى الاحبة محمدًا وصحبه وتقدم قول بلال رضى الله عنه ومثله قال عمار رضى الله
عنه قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له

وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها
محبة لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين
والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحب وقد
قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من
يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني
فقد ابغض الله تعالى وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله يوشك ان
ياخذه وقال في فاطمه رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشه في
اسامه بن زيد رضي الله عنهم احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق
بغضهم وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيا احب كل شي يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس
وقد قال انس رضي الله عنه حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى القصعة
فما زلت احب الدبا من حينيذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله
عنهم اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ابن عمر رضي الله عنهما يلبس النعال السبتيه ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما
يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهولاء اصحابه عليهم السلام
قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي
لو شيت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي اتى به صلى الله عليه وسلم وهدا
به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته
والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله رحمة الله تعالى
عليه علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب
الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا
وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسال احد عن نفسه الا القران
فان كان يحب القران فهو يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن علامة حبه للنبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما
كان صلى الله عليه وسلم بالمومنين روفا رحيما ومن علامات تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا
وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك
فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا
ثم ذكر حديث ابي سعيد رضي الله عنه بمعناه **فصل في معنى المحبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها** اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه
وسلم وكثرة عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها
اختلاف احوال فقال سفين رحمه الله تعالى المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايه وقال بعضهم
محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال
بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق
الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب تحب ما احب وتكره ما كره وقال

اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنه شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير
الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى الشغف بامثال هولاء حتى يبلغ
التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يودي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه
فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها
في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من
الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله
تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمومنين روف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي افضال اعم منفعة واكثر
فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم
الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب
لهم للبقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة
الحقيقية شرعا كما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان
وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا واستنقذه من
هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من
قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله
عليه وسلم من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم **فصل في وجوب مناصحته**
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله
ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي
عليه قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المومن حدثنا
ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال
ابو بكر بن اسحق الخفاف النصح فعل الشي الذي به الصلاح والملايمة ماخوذ من النصاح
وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة لله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد
من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما

امريه ونهى عنه قال ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيًا وميتًا واحيا سنته
بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمه وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق
التجيبى نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جائه والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسول الله صلى الله عليه وسلم واليها والى العمل بها وقال
احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجرى
وغيره النصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر
والمحاماه عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآيه وقال وينصرون الله ورسوله الآيه واما نصيحة المسلمين له بعد
وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعليم سنته والتفقه فى شريعته
ومحبة ال بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره
تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيرى
رحمه الله تعالى ان عمرو بن الليث احد ملوك خرسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار راى فى النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودى
فاعجبتنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله تعالى
لى ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم فى الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم الناس
اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب
وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم فى امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار
عنهم وجلب المنافع اليهم الباب الثالث فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا يها النبى انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وقال يايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدى الله ورسوله ويايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الثلاث الايات
وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضى الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
فى تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبرى يعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز
ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو
اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضايه فيه وان يفتاتوا بشى فى ذلك من قتال
او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدى والثورى ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال
الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته انه
سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعض
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضًا باسمه قال ابو محمد مكى اى لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف
ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الآيه الاخرى لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الايه فى وفد بنى تميم وقيل
فى غيرهم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآيه الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما
بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت فى
ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبى صلى الله عليه وسلم فى مفاخرة بنى تميم وكان فى اذنيه صمم
فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآيه اقام فى منزله وخشى ان يكون حبط عمله ثم اتى النبى صلى

الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا
وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال
والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه
كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله
تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اوليك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني
تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن
رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة
كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلًا له لان معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان
يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعًا للذريعة ومنعًا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابه في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي
ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا
احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن
مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد اخبرنا حيوه بن
شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سيلت ان اصفه ما
اطقت ان اصفه لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر
وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران اليه
وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك رضي الله عنه اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق
جلساوه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضيه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا
وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا
امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش
قال يا معشر قريش اني جيت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما
رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما
يعظم محمدًا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدًا وعن انس رضي الله عنه لقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل
ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى
الله عليه وسلم اليهم في القضيه ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي حديث طلحة رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسالة فاعرض عنه اذ طلع
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث
المغيرة رضي الله عنه كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال
البراء بن عازب رضي الله عنهما لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر

فاوخرسنين من هيبته صلى الله عليه وسلم **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله
تعالى به **قال القاضي ابو الفضل** رحمه الله تعالى وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وايمتنا
الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد
بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال
حدثنا ابو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن
المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرايل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين
مالكا رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع
به فيشفعه الله سبحانه فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقال مالك وقد
سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت
ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت
منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك رحمه الله تعالى اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسايه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد
بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت
ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
وما رايته تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا يتكلم فيما
لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن
القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فننظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه
هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا
عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا سمع
الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك رضي الله عنه الناس قيل له لو جعلت مستمليا
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا
وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراة حديثه ما يجب له عند سماع
قوله صلى الله عليه وسلم **فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث**
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون
حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد بن سنان
القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت
الى ابن مسعود رضي الله عنه سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث

يوما نجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق ينحدر عن
جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله تعالى او فوق ذا او ما دون ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد
وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم
وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس رضي الله عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب
ابن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس
ولبس ثيابه ثم تحدث قال مصعب فسيل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل
وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند
مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني
اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد
الحميد القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب
وذكر ان هشام بن الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح
كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وقال قتادة يستحب ان لا يقرا حديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا تحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث
وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات
المومنين ازواجه كما حض عليه صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ
ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبته من اصله حدثنا ابو الحسن المقري الفرغاني حدثتني ام
القسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل
حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد
ابن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم
ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه
افضل الصلاة والسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل
محمد صلى الله عليه وسلم امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه
وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك في بيت ام سلمة رضي الله عنها دعا فاطمة

وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فجللهم بكساء وعلي رضي الله عنه خلف ظهره ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما نزلت اية المباهلة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم هولاء
اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مومن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس
رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى
عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم
بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت
اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن رضي الله عنهم ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في اهل بيته وقال
ايضا رضي الله عنه والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي
وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن
وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه
الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمه لا توذيني في عايشة
وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه جعل الحسن على عنقه ويقول بابي شبيه
بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت
عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني
استحيي من الله تعالى ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة امه
ثم قربت له بغلته ليركبها فجا ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلما فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا صلى الله عليه وسلم وراى ابن عمر رضي الله عنهما محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي
فقيل له هو محمد بن اسامة بن زيد فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامه بن زيد رضي الله عنهما صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى
اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لابنه عبد الله في ثلاثة الاف وخمس ماية ~~ولاسامه بن زيد رضي الله عنه في ثلاثة الاف~~ قال
عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي
وبلغ معوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام
عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس
فافاق فقال اشهدكم اني قد جعلت ضاربي في حل فسيل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي
صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي رضي الله
عنهم لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء
الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولان ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط
لها رداه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن
توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء

جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى صح

ولاسامة بن زيد في ثلثة الاف صح

عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل
ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا
يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضايلهم وحميد سيرتهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا قال الله تعالى محمد
رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضى ابو على قال
حدثنا ابو الحسين وابو الفضل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذى
حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينه عن زايده عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن
خراش عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى
ابى بكر وعمر وقال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله فى
اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا
اصحابى فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب
اصحابى فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
اذا ذكر اصحابى فامسكوا وقال فى حديث جابر رضى الله عنه ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى
وفى اصحابى كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى وقال مالك بن
انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى فى المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين
جاوا من بعدهم الآيه وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختيانى من احب ابا بكر رضى الله عنه فقد
اقام الدين ومن احب عمر رضى الله عنه فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان رضى الله عنه فقد
استضاء بنور الله ومن احب عليا رضى الله عنه فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة
والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفى حديث
خالد بن سعيد رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس انى راض عن عمر وعن
على وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم فاعرفوا
لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبيه ايها الناس احفظونى فى اصحابى
واصهارى واختانى لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا
وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معوية رضى الله عنه فغضب وقال
لا يقاس باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم احد معاويه صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على
وحى الله عز وجل واتى النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فابغضه الله قال صلى الله عليه وسلم فى الانصار اعفوا عن مسيهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظونى فى اصحابى واصهارى فانه من حفظنى فيهم حفظه الله تعالى فى الدنيا والاخرة ومن
لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظنى
فى اصحابى كنت له حافظا يوم القيامة وقال من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض ومن لم يحفظنى
فى اصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعيد قال مالك رحمه الله تعالى هذا النبى صلى الله عليه
وسلم مودب الخلق الذى هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج فى جوف الليل الى البقيع فيدعو
لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله تعالى صح امر النبى صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من
عاداهم وروى عن كعب ليس احد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة

وطلب

وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري رحمه
الله تعالى لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره **فصل**
ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت
كان لابي محذورة رضي الله عنه قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من
قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب
بركتها وتقع في ايدي المشركين وروي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان
وكان يقول استحيي من الله سبحانه ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروي انه وهب للشافعي رضي الله عنهما كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها
دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال ان تربة المدينة
رديئة ان يضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه
تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه
وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم
من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوا مقعده من النار
وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة	لمن بان عنه ان يلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري	قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا	فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطي الثرى	فلها علينا حرمة وذمام

صلى الله عليه وسلم

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ياتي الى بيت مولاه
راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي **قال القاضي رحمه الله تعالى**
وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل عليهما السلام وعرجت منها
الملائكة عليهم السلام والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد
سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس ايات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضايل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك
الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة
واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم
عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به	هدي الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملات محاجري	من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها	ابدا ولو سحبا على الوجنات

لكن ساهدي من حفيل تحيتي ... القطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات ... ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الآيه وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه
ان الله وملايكته يباركون على النبي وقيل ان الله تعالى يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم
وملايكته يدعون وقال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله تعالى رحمة ومن الملايكه
رقة واستدعا للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملايكه عليهم السلام على من
جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا وقال بكر القشيري الصلاة من الله
تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال
ابو العاليه صلاة الله ثناوه عليه عند الملايكه وصلاة الملايكه دعا قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه
بين لفظ الصلاة ولفظ البركه فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله به عباده
فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآيه على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى
اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند
حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك
وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني ان السلام على حفظك ورعايتك متول له
وكفيل به وتكون هنا السلام اسم الله عز وجل الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد
كما قال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما

فصل

اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير
محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الايمة والعلماء على الوجوب واجمعوا عليه
وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد
على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوه وما
عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن
ابن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها
مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان
يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان
يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك رحمه الله تعالى واصحابه
وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا
يتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه قال اصحاب الشافعي
رضي الله عنه الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة وقالوا
واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك
لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسالة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال
ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ترك ذلك تارك فصلوته مجزية في مذهب مالك واهل المدينه وسفين الثوري
واهل الكوفه من اصحاب الراى وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفين
رضي الله عنهما انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسي وشذ الشافعي
رضي الله عنه فاوجب على تاركها في الصلاة الاعاده واوجب اسحق الاعاده مع تعمد تركها

يداوم

دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد تريد ليست من فرايض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي رضي الله عنه وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسالة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسالة جدا وهذا تشهد ابن مسعود رضي الله عنه الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وقال ابن عمر كان ابو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملا او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم **فصل** في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمنا وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله تعالى بقراتي عليه قال حدثنا الامام ابو القسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقري حدثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هانى الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد رضي الله عنه يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شي حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى ال محمد وروى ان الدعا محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسال الله سبحانه وتعالى شيئا فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال فانه احدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضو توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطا للدعا اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلاتين علي لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جات الصلوة علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعاي ثم يبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصل على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه وعند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله تعالى محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله

ابن اوس صح

صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقال اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيه استنانًا وروى النسائي عن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر
بالاكثار عليه من الصلاة يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال
ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم
عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقال السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال
ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل
السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة اذا دخلتُ المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله
عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف
في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلوة على الجنايز وذكر عن ابي امامة رضي الله عنه انها
من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم واله في الرسايل وما يكتب بعد البسمله ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية
بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكه تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله تعالى وغيره
قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
ابو نعيم عن الاعمش عن شقيق بن سلمه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد
صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب
مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة
وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي
الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملايكه وبني ادم والجن قال مالك
رحمه الله تعالى في المجموعه واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **فصل** في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا ابو
اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن
عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه
عن عمرو بن سليم الزُرَقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول
الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابرهيم
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد
كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
رضي الله عنه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت
على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عامر في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى
آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله عنه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه
وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا

حدثنا

حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر
ابن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد
عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى
محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم
وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال
بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه
يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف صلواتك
ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ جيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا القابس الاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام و
منيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة وآلهم
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناه واكرم مثواه
لديك ونزله واتمم له نوره واجزه ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل
وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوه على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملايكته
يصلون على النبي الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملايكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله
خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك
باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
وآل ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى
من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم
الراحمين وعن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى وارفع درجته العليا واته سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى
وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعايه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط
محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسول له الى يوم القيامة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلوه وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله

والسلم كما قد علمتم هو ما علمتم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبيا الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم
ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وجا في هذا
الحديث عن علي رضي الله عنه الدعا للنبي بالمغفرة **فصـــل في فضيلة الصلاة على النبي صلى**
الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قال حدثنا
القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاويه حدثنا النساى اخبرنا سويد بن نصر انبانا عبد الله
عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزله في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيله حلت عليه الشفاعة
وروي انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله
عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلم ناداني فقال من صلى
عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه عنه عليه الصلوة والسلم لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله تعالى يقول من سلم عليك
سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان
وعبد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم
صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود رضي
الله عنه اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكه تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
علي صلاة صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي ابن كعب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها
الناس اذكروا الله جات الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه فقال ابي ابن كعب
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شيت قال الربع
قال ما شيت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شيت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شيت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر
ذنبك وعن ابي طلحة رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل عليه السلم انفا فاتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
الا صلى الله وملايكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه الدعوة التامه والصلاة القايمه ات محمدا
الوسيلة والفضيله وابعثه مقاما محمود الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن
سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
غفر له وروى بن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق
رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان انجاكم
يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله عنه صلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق
الرقاب **فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه** حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن الصيرفي قالا حدثنا

ابو يعلى حدثنا السنجى حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقى حدثنا
ربعى بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفى حديث اخر ان النبى صلى الله عليه
صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ رضى الله
عنه عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليهما وسلم اتانى فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن على
ابن ابى طالب رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذى ذكرت عنده فلم
يصل على وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل على اخطى طريق الجنة وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال
ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على
النبى صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابى هريرة
رضى الله عنه من نسى الصلاة على نسى طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلى على وعن جابر رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن
من ريح الجيفة وعن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما
يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذى عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبى صلى
الله عليه وسلم مرة فى المجلس اجزا عنه ما كان فى ذلك المجلس **فصل فى تخصيصه صلى الله عليه
وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام** حدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى قال
حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا عبد المومن حدثنا ابن داسه حدثنا
ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقبرى نبا حيوة عن ابى صخر حميد بن زياد عن
يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابى
شيبه عن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله تعالى ملائكة
سياحين فى الارض يبلغونى عن امتى السلام ونحوه عن ابى هريرة وعن ابن عمر رضى
الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يوتى به منكم فى كل جمعه وفى روايه
فان احدا لا يصلى على الا عرضت صلاته على حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه
وسلم حيث ما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس
احد من امة محمد يسلم عليه ويصلى عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى
على النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما اذا دخلت
المسجد فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيث كنتم فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم وفى
حديث اوس اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على وعن سليمان بن
سحيم رضى الله عنه رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يا رسول الله هاولاء
الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا عليهم السلم وما من مسلم يصلى على الا
حملها ملك حتى يوديها الى ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا **فصل فى الاختلاف**

فى الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا عليهم السلم قال القاضى وفقه الله تعالى
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وروى ابن عباس رضى الله
عنهما انه لا تجوز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه لا ينبغى الصلوة على احد الا النبيين
وقال سفين رحمه الله تعالى يكره ان يصلى الا على نبى صلى الله عليه وسلم ووجدت بخط بعض شيوخى مذهب
مالك انه لا تجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك فى المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر رضى الله عنهما وبما جا فى حديث تعليم النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه على
ازواجه وعلى اله قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما لينة والصلاة فى لسان العرب
بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذى
يصلى عليكم وملايكته الآيه وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابى اوفى وكان
اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفى حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته وفى اخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة
وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفى رواية انس رضى
الله عنه سيل النبى صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقى ويجى على مذهب الحسن ان المراد
بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتى بالنفل لان الفرض الذى امر
الله به هو الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتى
مزمارا من مزامير آل داوود يريد من مزامير داوود وفى حديث ابى حميد الساعدى رضى
الله عنه فى الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه
كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ذكره مالك فى الموطا من
رواية يحيى الاندلسى وروى ابن وهب عن انس بن مالك رضى الله عنه كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضى والذى ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفين
رحمهما الله تعالى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختاره غير واحد من الفقها والمتكلمين
انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شى يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا
كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب
تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء عليهم الصلاة والسلم بالصلوة والتسليم ولا
يشارك فيه سواهم كما امر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الايمة
وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا فى الصدر الاول
كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضه والمتشيعه فى بعض الايمة فشاركوهم عند الذكر لهم
بالصلوة وساووهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهى
عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبى
صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص وصلاة النبى صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد
قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له
مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابى المظفر الاسفرايني من شيوخنا

فصل فى حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم

ويدعو وزيارة قبره عليه الصلاة والسلم سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له
شفاعتى وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى

المدينة

المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي
فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف
في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زورات القبور
وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم
الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل
زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك رحمه الله لاضافته الى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه
وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد نحى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اوليك قطعا للذريعة وحسما للباب
والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه
وينزل جبريل عليه السلم بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وايمة المسلمين
والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من
وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملايكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم يسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى
فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة ستري قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقره مني
السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك
رضي الله عنه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى
الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده
وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في
القبلة عند القبر على راسه قال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يسلم على القبر رايته مائة
مرة واكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف
وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو
لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قال القاضي ابو الوليد
الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما
كما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلوة والسلام السلام علينا من ربنا وصلى الله
وملايكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر
تحمد الله فيهما وتسله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك
وفي الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك
وتسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك رضي الله عنه في
كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب

عن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد ابن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه قال حدثنا الحسين ابن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسه حدثنا ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله تعالى سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال من انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم ساير المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد

بن مسلم

مسلمة ويكره فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما تخلط عليهم صلاتهم
وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية فى مساجد الجماعات
الا المسجد الحرام ومسجد منى وقال ابو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى
خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى اختلف الناس فى معنى
الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة بين مكه والمدينه فذهب مالك رحمه الله فى رواية
اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة فى مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فى ساير المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام
فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما
روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من ماية صلوة فيما سواه فتاتى
فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسع ماية وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينه
على مكه على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومالك واكثر المدنيين وذهب
اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكه وهو قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكى
الساجى عن الشافعى رحمه الله تعالى وحملوا الاستثنا فى الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة فى
المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
بمثل حديث ابى هريرة رضى الله عنه وفيه وصلوة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا
بماية صلاة وروى قتادة مثله فياتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا فى ساير المساجد
بماية الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض قال
القاضى ابو الوليد الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكه لساير المساجد ولا يعلم
منه حكمها مع المدينه وذهب الطحاوى الى ان هذا التفضيل انما هو فى صلاة الفرض وذهب
مطرف من اصحابنا الى ان ذلك فى النافله ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان
وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينه وغيرها حديثا نحوه وقال عليه الصلاة
والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومثله عن ابى هريرة وابى سعيد وزاد
ومنبرى على حوضى وفى حديث اخر منبرى على ترعة من ترع الجنة قال الطبرى فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روى ما بينه بين حجرتى ومنبرى
والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى بين قبرى ومنبرى
قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره
فى حجرته وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره بعينه الذى كان فى الدنيا
وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعا والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما
قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها
قاله الداودى وروى ابن عمر رضى الله عنهما وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى
المدينه لا يصبر على لاوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن
تحمل عن المدينه والمدينه خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينه كالكير تنفى خبثها وتنصع
طيبها وقال لا يخرج احد من المدينه رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه الصلاة
والسلام من مات فى احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب
وفى طريق اخر بعث من الامنين يوم القيامة وعن ابن عمر رضى الله عنهما من استطاع ان يموت
بالمدينه فليمت بها فانى اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكه
الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا
ولجا اليه فى الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم
وحكى ان قوما اتوا سعدونا الخولانى بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه
النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان
من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر وحشر يوم القيامة من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله تعالى حدثنا ابو العباس
العذري قال حدثنا ابو اسامه محمد بن احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا
الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين
ابن عيينه قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت بن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفين وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من سفين الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامه وما اذكر
الحسن بن رشيق قال فيه شيا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق
الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من اسامه الا استجيب لي وقال ابو علي وانا فقد
دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي في
بقيتها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان
لم تكن في الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب
برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افاين مات او قتل الايه وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير
الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما طاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم مخاطبتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورويته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض
ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا والرسل والانبيا
والرسل عليهم السلام وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارى عليه ما يطرى على البشر من الاعراض والاسقام والموت
والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء
الاعلى متشبهة بصفات الملايكه سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف
الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملايكه ورويتهم
ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت
الملايكه وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليهم مخالطتهم كما تقدم من قول الله
تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهات الارواح والبواطن مع الملايكه
كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني
ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة مطهرة عن الافات والنقايص والاعتلالات وهذه جملة

لن يكتفي

لن يكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتى بعد هذا فى البابين
بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينيه والكلام
فى عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه اعلم ان الطوارى من التغييرات والافات على احاد البشر لا تخلو ان يطرا على جسمه
او على حواسه بغير قصد كالامراض والاسقام او يطرا بقصد واختيار وكله فى الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح
وجميع البشر تطرى عليهم الافات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها
والنبى صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شا الله تعالى فيما ناتى به من التفاصيل
فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى اليه
فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك او الشك او الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين الواضحه ان يكون فى عقود الانبيا صلوات الله عليهم سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بلى ولكن ليطمين قلبى اذ لم يشك ابرهيم عليه السلم
فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحيا
فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته الوجه الثانى
ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسوال
ذلك من ربه ويكون قوله اولم تومن اى تصدق بمنزلتك منى وخلتك واصطفايك الوجه
الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينه وان لم يكن فى الاول شك اذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل فى قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز فى النظريات فاراد
الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقى من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينه
ولهذا قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى سال كشف غطا العيان وليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيى ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه
عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سوال على طريق الادب المراد اقدرنى على احياء الموتى
وقوله ليطمين قلبى عن هذه الامنيه الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن
ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفى لان
يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابرهيم عليه السلم اى نحن موقنون
بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد
امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصه ابرهيم عليه
السلم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك الايتان فاحذر ثبت الله قلبك ان تخطر ببالك ما ذكر
فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من اثبات شك للنبى صلى الله عليه
وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس رضى الله
عنهما لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا فى معنى الايه
فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الاية قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هذا
التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الايه وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبى صلى الله عليه وسلم كما قال لين اشركت ليحبطن عملك الايه الخطاب له والمراد غيره
ومثله فلا تك فى مرية مما يعبد هولاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما
يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل

هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور بها هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي
عليه الصلوه والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقال
ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب انما هو فيما
قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى
واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه
وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتداء
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء عليهم السلام ليلة الاسرا عن ذلك فكان اشد يقينا
من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم
من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا
على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول
الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم
اي قل لمن امترى في ذلك يا محمد لا تكونن من الممترين بدليل قوله في اول الآية افغير الله ابتغي
حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة
وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن
صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما
انزلناه فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما
معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا
اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل عليهم
السلم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله عليه الصلوه والسلام لخديجة
رضي الله عنها لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله
خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد
في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة
لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا
له عليه الصلاة والسلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية
وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلا وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن
ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرا فقلت
ما اقرا وذكر نحو حديث عايشة رضي الله عنها في غطه واقرائه اقرا باسم ربك السورة قال
فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت
لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها
فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل
فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال
وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما الصلاة والسلم وقبل اعلام الله له بالنبوة

واظهار

واظهار اصطفاه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال
لخديجه رضى الله عنها انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت ان يكون هذا الامر ومن
رواية حماد بن سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله عنها انى لاسمع صوتا وارى
ضوءا واخشى ان يكون بى جنون وعلى هذا يتاول هذا الوجه قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد
شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معانى الشك فى تصحيح ما راه وانه كان كله فى ابتدا امره وقبل
لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا تجوز عليه شك فيما القى اليه وقد
روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة
رضى الله عنها اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجه رضى الله عنها
واختبارها امر جبريل عليه السلم بكشف راسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة رضى الله عنها
لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى ياتيه ملك ويزول الشك عنها
لا انها فعلت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد فى حديث
عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها ان ورقة
امر خديجة رضى الله عنها ان تختبر الامر بذلك وفى حديث اسماعيل بن ابى حكيم انها قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء
جبريل عليه السلم اخبرها فقالت له اجلس الى شقى وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت
ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته
لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول معمر فى فترة الوحى فحزن النبى صلى
الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رووس شواهق الجبال لا يقدح فى هذا
الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر راويه ولا من حدث به ولا ان النبى صلى الله
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبى صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل انه كان اول
الامر كما ذكرناه وانه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على
اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله
ابن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور
فى شان النبى صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل
فى ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل عليه السلم فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة
لامر او سبب منه فخشى ان يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عن
ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلم خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقول الله تعالى فى يونس عليه السلم فظن ان لن نقدر عليه فنادى معناه ان لن تضيق عليه قال
مكى طمع فى رحمة الله تعالى وان لا يضيق مسلكه فى خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه
العقوبة وقيل لا يقدر عليه ما اصابه وقد قرى يقدر عليه بالتشديد وقيل نواخذه بغضبه وذهابه
وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبى ان يجهل صفة من
صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
رضى الله عنهما والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين
فكيف بالانبياء عليهم السلم وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد فى
الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبى اخر
فقال له يونس عليه السلم غيرى اقوى عليه منى فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان ارسال يونس عليه الصلوه والسلم ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى ماية الف
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصه ثم قال فاجتباه ربه فجعله من
الصالحين فتكون هذه القصه اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوه والسلم انه ليغان
على قلبى فاستغفر الله كل يوم ماية مره وفى طريق فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان

يكون هذا الغين وسوسة او رينا وقع فى قلبه صلى الله عليه وسلم بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى
القلب و يغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين
شى يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطيه كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة فى اليوم اذ ليس
يقتضيه لفظه الذى ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه و فترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع اليه فى مقاسات البشر وسياسة
الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء
الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل هذا فى طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص
قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى صلى الله عليه وسلم
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله تعالى من
ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات
والسهو فى غير طريق البلاغ على ما سياتى و ذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
الصوفية ممن قال بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه
فى حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته صلى الله عليه وسلم
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التى
تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها اظهارا
للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار
وقال غيره وليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة
خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال فى ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روى فى بعض طرق هذا
الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله
فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلم فلا تسالنى ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون
من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى اية نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تكونن ممن تجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفى اية نوح لا تكونن ممن تجهل ان وعد الله حق
لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى و ذلك لا يجوز على الانبيا
عليهم السلم والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك وليس
فى اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها وكيف واية نوح عليه السلم
قبلها فلا تسالن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن
وقد تجوز اباحة السوال فيه ابتداء فنهاه الله ان يساله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح حكى معناه مكى كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم فى الاية الاخرى بالتزام الصبر
على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى
وقال مثله فى القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء عليهم السلم منه بعد النبوة
قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا
وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله
اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من فى
الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت

رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى الله عليه وسلم
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان تخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يحب
او يفتري عليه او يضل او تختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله
يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما السلم لا تخاف لتشتد بصايرهما في الابلاغ واظهار
دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الآية وقوله اذاً لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاوك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين
كفروا الآية وقوله ان يشاء الله يختم على قلبك ولين اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشا ويامره بما يشا كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين **فصل** واما عصمتهم من
هذا الفن قبل النبوه فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوه من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم
عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من
اهل الاخبار ان احداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله
عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته
الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه وبترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان
توبيخهم له بنهيهم عن ما كان يعبد قبل افضع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم
وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو
كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم سكتوا عنه
وقد استدل القاضي القشيري رحمه الله على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم الآيه وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتومنن به ولتنصرنه قال فطهره
الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره
قبل مولده بدهور وتجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه
وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه
علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبدا ولا تشتبه عليك بقول ابرهيم عليه السلم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتدا النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتاً لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما
قال اين شركاي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله
تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جا ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يويدني بمعونته اكون مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا
فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد ان نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه
من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جا في حديث

والبيل اليوم من يريد بكم بيان ذلك

الجهمين عادوا خمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبرى وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك
وهداك الى الايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال لهنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا فى
طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله تعالى الى الاسلام قال معناه القشيرى وقيل
لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن
عباس رضى الله عنهما لم تكن ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل وجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر
ابن محمد ووجدك ضالا عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرا الحسن
ابن على ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى
والضال المحب كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا فى الدين
اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند هذا انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة وقال
الجنيد ووجدك ضالا متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية
وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من
المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه الصلوة والسلام قوله فعلتها اذا
وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى
معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى
ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان والجواب
ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرا القران ولا كيف تدعو الناس
الى الايمان قال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرايض والاحكام قال وكان
قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك
الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى نقوم خلفه فقال الاخر كيف نقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا
حديث انكره احمد بن حنبل رضى الله عنه جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال
الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله
فى الحديث الاخر الذى رودته ام ايمن حين كلمه عمه واهله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه
بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى شخص ابيض
طويل يصيح بى وراك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله فى قصة بحيرا حين استحلف النبى
صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى وراى
فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسالنى بهما فوالله ما
ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسالك عنه فقال سل عما
بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته
يخالف المشركين فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه
السلم فصل قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء
عليهم السلام فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا
الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم
بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده
وقد قدمنا منه فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم فى الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه
على ما وراه الا ان احوالهم فى هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط فى حق
الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها واعتقادها على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليه

غير

فيه اذ همهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم
من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا فان ذلك يودي
الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء عليهم السلام وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان
كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا تجوز عليه جهالة جملة لانه لا
يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف
الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول بتجويز
وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله عنها اني انما
اقضي بينكم براي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على
راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا
يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا
على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات
ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما
لم ينزل عليه فيه شي ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه
من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيا شيا حتى استقر علم جملتها عنده
اما بوحي من الله عز وجل او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير
منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ورفع الشك والريب في انتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة
اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين
اسمايه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما كان ويكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا
ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمايك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله
اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل
ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله سبحانه وتعالى وهذا ما لا خفاء به اذ
معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع
والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني
وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة
قالوا واياك يا رسول قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني
الا بخير وعن عايشة رضي الله عنها بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم اي القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم **قال القاضي ابو الفضل**
رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم
صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة
في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ ييسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرضه

له في صلوته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره فني الصحيح قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة
فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت
قول اخي سليمان عليهما الصلاة والسلام رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الآية
فرده الله خاسيا وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو
الله ابليس جاني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر
تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل
المدينه وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش
في الايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا
غالب لكم الآية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبه وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلم كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآيه فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله
واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل
ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على
عدوه او رام الشيطان من اغرايه وخواطره ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه
فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد
قيل في هذه الآيه غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقه اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره الله لديه
ليتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآيه فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل
منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني
ها هنا التلاوه والقاء الشياطين فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا
ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان عليه
السلم وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان بعد هذا مثبتة ومن قال
ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلم وقوله اني مسني
الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى
الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا
الشيطان وقوله عن يوسف عليه السلام فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه الصلاة والسلم
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب
في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤوس الشياطين وقال
صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت
له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلم قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى انه انما نبي
بعد موت موسى عليهما السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف

عليه السلم

عليه السلام قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي
السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع عليهما السلام بوسواس ونزغ وانما هو شغل خواطرهما بامور اخر
وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في
ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة
به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلايل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجتمعت
الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا
عمدا ولا سهوا وغلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القايمة مقام قول الله صدق فيما
قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ
ابي اسحق الاسفراييني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم
في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع
المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما
اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك
قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه
من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن
الله الا الصدق وان المعجزة قايمة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول
الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح
ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما
تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق

فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سوالات منها ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرا سورة النجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ان شفاعتهن لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك
الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى
ان لو نزل عليه شي يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شي ينفرهم عنه
وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلم جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما
جيتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ
الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم
متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقايل يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان

قوله احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه

قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلم قال ما هكذا اقرأتك
وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه
الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد بين لك ابو بكر رحمه
الله تعالى انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك
فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن
مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر وان يتسور
عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من
القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه الصلاة والسلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه
وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه
او لسانه لا عمدا ولا سهوا وان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان
عليه سبيل او ان يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية ووجه ثان
وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح والذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل
فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد
علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات
بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك
احد في هذه القصة شيا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين الصولة ولاقامت عليهم اليهود بها الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء بها حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه
البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند
فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه
رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان
ترد ان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته
لكاد ان يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم
قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم
وانه قال صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار

ولم يذهب

ولم يذهب وكاد اخيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر
بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال
ابن الانباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير
اخر وما ذكرناه من نص الله تعالى في عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم ترد سفسافها فلم يبق في
الاية الا ان الله امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا
من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما الماخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب على ذلك
ايمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم
اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ
لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله
عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله صلى الله عليه وسلم
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا
ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر
ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر
ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه
يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله عز وجل وتحققهم من
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه هذا ليس من الاصل بل هو منقول
من خط ابن جبير عن خط المصنف وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان
المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني
اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل
معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرى فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا
نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ
وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل
ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر
في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلا فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد
ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله
كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا
من قولهم ورجا الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم
ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته
ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القران ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما
يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان

الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم
الآيه وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السوره وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة
الثالثه الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشي من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا
في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترايهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الآيه وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو وكما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الايه ومن ذلك
ما روي من قصة يونس عليه السلم انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال
لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الوارده في
هذا الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا
ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا وكان ذلك كما قال
ثم رفع الله تعالى عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم الخزي الآيه وروي
في الاخبار انهم لما راوا دلايل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير
غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف
محمدا صلى الله عليه وسلم حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب
وفي حديث اخر فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شيت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شيت وفي الصحيح
عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد
وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مومن ريبا اذ
هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله
ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت عن عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر
احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتريه على نبي الله عليه الصلاة والسلم وانما يفتري الكذب
الذين لا يومنون بايات الله اولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه
ولا طعن في نظم القران وانه كان من الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم
او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما
نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول صلى الله عليه وسلم لها اذ كان ما تقدم مما
املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته
به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا
الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراتان
انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم
ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراة الجمهور وقد قرا
جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جات على وجهين في غير المقاطع
قراهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق
ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله ويسميه

فذكرا

في ذلك كيف شاء. فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي بل في امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه
وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم
من دين الصحابة رضي الله عنهم وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره
في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه
حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله
صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القسم فقال عمر
كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره وشمايله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم
يرد في شيء منها استدراكه عليه الصلوة والسلم لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به
ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا
احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب
والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار
بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة
وكل هذا مما تنزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها
ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل
يجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه
وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز
على الانبياء عليهم السلام خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع
من سامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب
قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم
وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على
عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب
ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه. فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو
الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا ابو عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك
عن داود بن الحصين عن ابي سفين مولى بن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت
الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت
وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد
الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما
على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو
صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه

لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده
وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان
ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله
كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل
للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي اقول ويظهر لي
انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله
بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من
قبل نفسه وانه كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك ليسن
فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
وجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلاة شغلا
بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قوله
واما قصة كلمات ابرهيم عليه الصلاة والسلم المذكوره في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوص
في القران منها ثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب
المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها
وانه اثنى نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو
ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه
واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الايه فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو
فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المومنون اخوة فان قلت فهذا النبي
صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن
الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه الصلاة والسلام من
مواخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه
خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السوال
عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او
وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه الصلاة والسلم وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله
انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله
عنهما هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة

وعلى

وعلى الطريق الاخر فحمله على ظنه ومعتقده كالو صرح به لان حاله في النبوه والاصطفا يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظايف النبوه من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر عليه السلم اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله تعالى ذلك عليه فيما قاله العلما انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورث ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا عليهم السلم فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القايلين بنبوة الخضر عليه السلم لقوله فيه انا اعلم من موسى عليه السلم ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء صلوات الله عليهم فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه كان بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا نبي غيره الا اخاه هارون عليه السلم كان في زمن موسى عليه السلم وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر عليه السلم ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر عليهما السلم فيما اخذ عن الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى صلى الله عليه وسلم وقال اخر انما الجى موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء صلوات الله عليهم من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاد ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء عليهم السلم وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشية في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا لا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروه واوجبت الازرا والخساسه فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء عليهم السلام اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا صلوات الله عليهم منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم عن الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهم من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن

مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهرى وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخرى وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طايفة الى الاباحه وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينيه وعلم به مقصد القربه ومن
قال بالاباحة فى افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم فى افعالهم اذ ليس
كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يومر المرء بامتثال
امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا
حجة بان يقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون انه لا يقر على منكر من
قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله فى حق غيره
ثم تجوز وقوعه منه فى نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمته من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او
الندب على الاقتداء بفعله ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة
رضى الله عنهم قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفى كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن
عمر رضى الله عنهما اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم فى غير
شى مما بابه العبادة والعادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها انى
اقبل وانا صايم وقالت عايشة رضى الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وغضب صلى الله عليه وسلم عن الذى اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشا وقال
انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار فى هذا اعظم من ان يحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة فى شى منها لما اتسق هذا
ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله واعتذاره
بما ذكرنا واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هى ماذون فيها وايديهم
كايدى غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت لهم صدورهم من انوار
المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله تعالى والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورة
مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا فى خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك
عظيم فضل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى ساير انبيايه عليهم السلم بان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل وقد اختلف فى عصمتهم من المعاصى
قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله تعالى تنزيههم من كل عيب ونقص
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسلة تصورها كالممتنع فان المعاصى والنواهى انما تكون
بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس فى حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا
لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشى وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول غير
موجودة ولا معتبرة فى حقه حينيذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهى
وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القايلين لهذه المقاله عليها فذهب سيف السنة ومقتدى
فرق الامة القاضى ابو بكر رضى الله عنه الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق
السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره فى العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل
به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعه ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شى من ذلك جمله وذهبت طايفة
الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهى طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر وقالت
فرقة اخرى بالوقف فى امره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشى فى ذلك اذ لم يحل
الوجهين منها العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى وقالت
فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينه فيمن كان يتبع
فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب فى
هذه المسلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضى ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان

ح هو الباقلانى المالكى

شى من

شيء من ذلك لنقل كما قررناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلم اخر الانبيا
فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم تثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة
عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد
كقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له
شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله جماعة
منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبياء غير نبينا
او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من
مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب
الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل شيء فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه
من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد
كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة
عليه فاحوال الانبياء عليهم السلم في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم
سوا ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعهم فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من
العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا وسهوا فلذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز
طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه
العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جايز عليه كما تقرر من
احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة
بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في النبي صلى الله عليه وسلم سبب
افادة علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست
انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات
النقص واعراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط
بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور عن قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين
واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من امور
دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط
عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة
ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة
وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب
سنذكرها بعد ان شا الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو
منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم
وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من
الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذي
اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود

رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسًا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل
الذي قررناه وحكمة الله تعالى فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه
لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس ويظهر فايدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان
والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضادٍ للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله
عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم اني لانسى اوُ أُنَسّى لاسُنّ قيل هذا
اللفظ شك من الراوي وقد روى اني لا انسى ولكن انسّى لاسُنّ وذهب ابن نافع وعيسى بن
دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اى انسى انا او ينسّيني الله قال القاضي ابو الوليد
الباجي رحمه الله تعالى يحتمل ما قاله ان يريد اني انسى في اليقظة وانسّى في النوم او انسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو وانسّى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد
النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طايفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة
ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنهما والسهو شغل
فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلوة شغلا بها لا
غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طايفة الى منع هذا كله عنه وقالوا
ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمدًا وقصد البسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى
منه بطايل لانه كيف يكون متعمدًا ساهيًا في حال ولا حجة لهم في قولهم امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله اني لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال
انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطايفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسّى اذ
ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه لقوله بيسما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها
عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها
فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشا
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادايها الى وقت الامن وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه
صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان
للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات
وقد يندر منه غير ذلك ويصح هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ان الله
قبض ارواحنا وقول بلال ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر
يريده من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شا الله لايقظنا
ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث
فيه لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس رضي الله عنه المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل
او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى
ولم يتوضا وقيل انه لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم
عينيه عن روية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض
ارواحنا ولو شا لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال
لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا
رضي الله عنه بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى
نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون فاذا

نسيت

نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في
هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القران اي ان الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان
يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم
لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا
يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان
المجوزين للصغاير على الانبياء عليهم السلم من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز
الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجات اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به من ذلك قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة
غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شا الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء عليهم السلم كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله
عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الاية وقوله عن
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود عليهما السلام وقوله
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم
بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى عليه السلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا
من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الانبيا عليهم السلام في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان قال الله تعالى له
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم عليه السلم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما
احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه
مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد
بذلك امته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما امر ان يقول ما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمال المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فمقصد الاية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ها هنا تبرية من
العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو
قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك
لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها

حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل اثام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا ما حملت
بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب
لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم
ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله
عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل
فيه بيان ما خص به وفضل من بين ساير الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك
كما قال صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده و
الاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال
حتى خشي عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد
النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا
بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى
وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان صلى
الله عليه وسلم قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاوا القتل وان شاوا
الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه
وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من
الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السما
عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منها عمر ومثله وعين عمر
لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي بكر
ابن العلا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال
الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل

علي ان

على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبله
مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار
نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار
او تذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله عليه
وسلم بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك
حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان
طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله تعالى عليه
من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام
واما قصة آدم عليه الصلوة والسلم وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه
فغوى اي جهل وقيل اخطى فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى
ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان
هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس رضى الله
عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي
عذر ادم عليه السلم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما
والمومن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة
واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه
ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك
ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر بن فورك رحمه الله تعالى وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد
العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهى عنها لانه تاول نهى الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى لم
ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال فتاب عليه وقوله في
حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس عليه السلم فقد مضى الكلام على بعضها انفا
وليس في قصة يونس عليه السلم نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه
وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم
عفا الله تعالى عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك
وقيل ضعف عن حمل اعبا الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت
من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعايه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه
السلم بهلاك قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوا عليهما السلم ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما
غير الموضع الذي انزلا فيه ولاخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داوود عليه السلم
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض
المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن
داوود انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال
قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ما زاد داوود على
ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله

بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان
يستشهد وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه والى نفي ما اضيف فى الاخبار الى داود عليه السلم من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو
تمام وغيرهما من المحققين قال الداوودى ليس فى قصة داوود عليه السلم واوريا خبر يثبت
ولا يظن بنبى محبته قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان فى نتاج غنم على ظاهر
الآيه واما قصة يوسف عليه السلم واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم فى القران عند ذكر الانبياء عليهم السلام قال
المفسرون يريد من نبى من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف عليه السلم ما فعلوا
صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب
وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله
صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن
عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شا الله تعالى هم يوسف عليه
السلم من هذا ويكون قوله وما ابرى نفسى الآية اي ما ابريها من هذا الهم او يكون ذلك منه على
طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرى فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى
عبيدة ان يوسف عليه السلم لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به لولا ان راى
برهان ربه لهم بها وقد قال تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال
معاذ الله انه ربى احسن مثواى الآية قيل فى ربى الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها
وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله
كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف عليه السلم ميل شهوة حتى نباه الله تعالى
فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلم مع قتيله
الذى وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة فى
هذا كله انه قبل نبوة موسى عليه السلم وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية
فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من
اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريد القتل وانما وكزه
وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى
فى قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل فى هذه القصه وما جرى له مع فرعون
وقيل القاه فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من
قولهم فتنت الفضه من النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل
فى عرف الشرع فى اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت عليه
السلم جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلم بالتعدى وفعل ما لا يجب
له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جايز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له فى صورة ادمى ولا يمكن انه علم حينيذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلمه الله
انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندى وهو تاويل
شيخنا الامام ابى عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقا
عين حجته وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلم وما حكى
فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاوه ما حكى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد فى سبيل
الله فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جات بشق رجل قال النبى
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب المعانى والشق هو

من العرب
المازرى
صاحب المعلم
من فوايد مسلم

الجسد

الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب
عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه
على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسايه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان
به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عصم الانبياء عليهم السلام من مثله وان سيل لم لم يقل سليمان عليه السلم في القصة المذكورة ان
شا الله فعنه جوابان احدهما ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله
تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل
هذا سليمان عليه السلام فيما حكاه غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما
ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على
قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله تعالى فضيلة وخاصية يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله ورسله عليهم السلام بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالانة الحديد لابيه واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو
هذا واما قصة نوح عليه السلم فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين
الله تعالى عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه
مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه
على ربه بسواله ما لم يوذن له في السوال فيه وكان نوح عليه السلم فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر
ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقتضي على نوح عليه السلم معصية سوى ما ذكرناه من
تاويله واقدامه بالسوال فيمن لم يوذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا
الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع
المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله
عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى
احتمال الصبر وترك التشفي كما قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل
انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات
في كل هذا امر نهي عنه ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله تعالى
اعلم من سخنة بن جبير قال قيل ما معنى قوله عليه السلم ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى
ابن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت من غير
قصد وعن سهو وغفلة **فصل** فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى
وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكايهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شي
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا
بسببها او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو وتزيد من امور الدنيا
المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشي الدني الرذل ومنه ذنب كل شي
اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة
اليه الى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة

الى على احوالهم كالسيات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو
او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا
ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلم قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي
السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف
عليه السلم ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف عليه السلم قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبيا بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاتهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب
وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا عليهم السلم يواخذون بهذا
مما لا يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذًا في هذا اسوا
حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم
بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود
فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين زلات
الانبيا في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضًا فلينبه غيرهم
من البشر منهم او ممن ليس في درجاتهم بمواخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود عليه السلم بسطة للتوابين قال ابن عطا
لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصًا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم
وايضًا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير فما جوزتم من وقوع
الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذًا عندكم وخوف الانبيا عليهم السلام
وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء صلوات
الله عليهم على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرًا لله على نعمه كما قال
صلى الله عليه وسلم وقد امن من المواخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدًا شكورا وقال
اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد رحمه الله تعالى خوف الانبيا عليهم السلم
خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم اممهم كما قال صلى الله
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر
لطيفًا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فاحداث الانبياء والرسل صلوات الله عليهم الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
في كل حين استدعا لمحبة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله
عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملةً بعد النبوة عقلا
واجماعًا وقبلها سمعًا ونقلا ولا بشي مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي
قطعًا عقلا وشرعًا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدًا او غير
قصد واستحالة ذلك عليه شرعًا واجماعًا ونظرًا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعًا
وتنزيهه عن الكباير اجماعًا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضا وغضب وجد ومزح
فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه

فيهلك

يهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا احتاط صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبتني عليها مسايل لا تنعد من الفقه وتتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنايه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم على الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلماء والمحققين في عصمة الملايكة

فصل في القول في عصمة الملايكة عليهم السلام

اجمع المسلمون ان الملايكة مومنون فضلا واتفق ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء عليهم السلام والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الآية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طايفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شا الله بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط عن رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء صلوات الله عليهم من الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم في خبرهما وابتلايهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شي لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترايهم كما نصه الله تعالى اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان عليه السلام وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه الاشكالات ان شا الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراة ملكين بملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة واكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية

وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكاييل عليهما
السلم ادعى اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمان عليه السلم فاكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقراء وما انزل على الملكين بكسر اللام ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك
قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فحمل الآية
على تقدير ابي محمد مكي حسن ننزه الملائكه عليهم السلام ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد
وصفهم الله عز وجل بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكه ورييسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكه بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكه في
الارض حين افسدوا والاستثنا من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكه عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا
لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله تعالى الا ابليس في اخبار لا اصل لها يردها
صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم

في الامور الدينوية ويطرا عليهم من
العوارض البشرية قد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء والرسل من البشر وان جسمه
وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام
ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم
منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش
شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى
نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم وكرم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء عليهم السلم ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا
ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الافات ومنهم من عصمه
كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس فلين لم يكف نبينا عليه الصلوة والسلام ربه
يد ابن قمية يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون
عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولين لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من
سم اليهودية وهكذا ساير انبيايه عليهم السلم مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن
اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى عليه السلم
وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال
بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملاء الاعلى والملائكه لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وقال لست انسى ولكني انسى ليستن بي فاخبر صلى الله عليه وسلم ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل
منها شي باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار
انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف

لذلك

لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك
وانه خلافهم لقوله لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى وكذلك اقول انه فى
هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم تجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما تعترى غيره من البشر مما ناخذ بعد فى بيانه **فصل**
فان قلت فقد جات الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى
بقرائتى عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخارى حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه
انه فعل الشى وما فعله وفى رواية اخرى حتى كان انه يخيل اليه انه كان ياتى النساء ولا ياتيهن
الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك فى الشرع وقد نزه الله
الشرع والنبى صلى الله عليه وسلم عما يدخل فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه كان
يخيل اليه انه فعل الشى ولا يفعله فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شى من تبليغه او شريعته او يقدح
فى صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه فى امر دنياه التى
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه
من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله
حتى يخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن وقد قال سفين وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات
فى خبر منها انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشى انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فيكون
اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لايمتنا من الاجوبة عن هذا
الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد
ظهر لى فى الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوى الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بنى
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه فى بير حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم
دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البير وروى نحوه عن الواقدى وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر
ابن الحكم وذكر عن عطاء الخرسانى عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة
فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر فى بصره
وحبسه عن وطاء نسائه ويكون معنى قوله تخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن اى يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى
من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة
رضى الله عنها فى الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشى وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر
فى الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره لم يكن على ما خيل اليه لما
اصابه فى بصره وضعف نظره لا لشى طرا عليه فى سره واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له
وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل** هذه حالة صلى الله عليه وسلم فى جسمه
فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها
فقد يعتقد فى امور الدنيا الشى على وجهه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور
الشرع كما حدثنا ابو بحر سفين بن العاص وغير واحد سماعا وقراة قالوا حدثنا الجلسى احمد بن عمر قال
حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا عبيد
الله الرومى وعباس العنبرى واحمد المعقرى قالوا حدثنا النضر بن محمد قال حدثنى عكرمة حدثنا ابو

روى محمد بن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة

وطعامه واضعف جسمه وامرضه

النجاشي حدثنا رافع بن خديج رضي الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك
له فقال انما انا بشر مثلكم اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر
وفي رواية انس رضي الله عنه انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني
بالظن وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطى واصيب وهذا
على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه صلى الله عليه وسلم في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله
من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام
هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى
نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله عز وجل وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه
على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من
امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس
في هذا كله نقيصة ولا حطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل
نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في
النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق
اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل
وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا
ياخذ منه شيا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى قال حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن
كثير اخبرنا سفين عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة رضي
الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل
بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة
العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده
ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين
او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا لو كان مما يختص بعلمه ويوثره الله تعالى به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من
ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك
القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا
مما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم
ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول
فكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يوثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد

قررنا ان الخلف فيها ممتنع عليه فى كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او
رضا او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز ورودها منه فى الامور
الدنيويه لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من
ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدا فى تحبيبهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التى سالته عن زوجها هو الذى بعينه بياض
وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم
انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر
والنهى فى الامور الدنيويه فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين
فكيف ان يكون له خاينة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى فى قصة زيد واذ تقول للذى
انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه
النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر
عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا ما حكاه اهل التفسير عن على بن حسين ان الله تعالى كان
اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك
عليك زوجك واتق الله واخفى منه فى نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره
بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى مثله عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبى صلى
الله عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذى اخفى فى نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين فى قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم
يبد من امره معها غير زواجه لها فدل على انه الذى اخفاه صلى الله عليه وسلم بما كان اعلمه به تعالى
وقوله تعالى فى القصه ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فدل انه لم يكن عليه
حرج فى الامر قال الطبري ما كان الله تعالى ليوثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما احل مثال فعل من
قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان
على ما روي فى حديث قتادة من وقوعها من قلب النبى صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق
زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان
هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبياء صلى الله عليه
وسلم قال القشيري رحمه الله تعالى وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبى
صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهى بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد رضى الله عنه وانما جعل الله تعالى
طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما قال
ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيايهم ونحوه لابن
فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايده فى امر النبى صلى الله عليه وسلم لزيد
بامساكها فهو ان الله عز وجل اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى فى نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين
حرج فى ازواج ادعيايهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من
استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك
الزيادات التى فى القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن على بن الحسين وحكاه السمرقندى وهو قول
ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضى القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك
عند المحققين من اهل التفسير قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق فى ذلك واظهار
خلاف ما فى نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له قال
ومن ظن ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد اخطا وليس معنى الخشيه هنا الخوف وانما معناه الاستحيا ان

يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل
الابناء كما كان فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على
مراعات رضا ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله له هاهنا
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة رضي الله عنهما لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابدا ما اخفاه **فصل** فان قلت
قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا
اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
تعالى قال حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا
معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي
انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى
هجرا وفيه فقال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب
الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم
من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر
رضي الله عنه قال ايمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض
وما يكون من عوارضها من شدة وجع او غشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه
من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويودي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال
في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذا يقال هجر هجرا
اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار
على من قال لا نكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري
المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره
من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفين وعن غيره وقد تحمل عليه رواية
من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان تحمل قول القايل هجرا او اهجر دهشة
من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القايل
لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق
على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي
رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم
اي جيتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
لهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها
من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا
انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه
فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله عنه ثم هولاء
قالوا ويكون امتناع عمر رضي الله عنه اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك
الحال املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد
به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان

الارفق بالامة فى تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطى ماجورًا وقد علم عمر رضى الله عنه تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم
اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتى وقول عمر حسبنا كتاب
الله ردّ على من نازعه لا على امر النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر رضى الله عنه خشى تطرق
المنافقين ومن فى قلبه مرضٌ لما كتب فى ذلك الكتاب فى الخلوة وان يتقولوا فى ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصيه وغير ذلك وقالت طايفة اخرى ان معنى الحديث ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان مجيبًا فى هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض
اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها واستدل فى مثل هذه القصه بقول
العباس لعلى رضى الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه
وكراهة على رضى الله عنه هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعونى فان الذى انا
فيه خيرٌ من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعونى مما طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابه
امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذى حدثناه الفقيه ابو محمد
الخشنى بقراتى عليه قال حدثنا ابو على الطبرى حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى
حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبه حدثنا الليث عن سعيد بن ابى سعيد عن
سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته
او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفى رواية فايما احد دعوت
عليه دعوةً وفى رواية ليس لها باهل وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها له زكاةً وصلاةً ورحمةً وكيف يصح ان يلعن النبى صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم
من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اى عندك يارب فى باطن امره
فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التى ذكرناها فحكم عليه الصلوه والسلم بجلده
او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على امته ورافته
ورحمته للمومنين التى وصفه الله تعالى بها وحذره ان تتقبل فى من دعا عليه دعوته ان تجعل دعاه
وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنًى صحيح لا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله تعالى حمله على معاقبته بلعنه
او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل
انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله وقد يحمل ما ورد من
دعايه هنا ومن دعواته على غير واحد فى غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به
عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها
من دعواته وقد ورد فى صفته فى غير حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال انس رضى
الله عنه لم يكن سبابًا ولا فحاشًا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال
فى الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاةً ورحمةً وقربةً وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه
وتانيسًا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبى صلى الله عليه وسلم وتقبل دعايه
ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سوالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح
ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحيةً لما اجترم وان يكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو
والغفران كما جاء فى الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيًا فعوقب فهو كفارة له فان قلت فما
معنى حديث الزبير رضى الله عنه وقول النبى صلى الله عليه وسلم له حين خاصمه مع الانصارى فى
شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال الانصارى ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه فى هذه القصة امر ريب ولكنه صلى الله

وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشوره والاختبار هل
يتفقون على ذلك او يختلفون فلما
اختلفوا تركهم

عليه وسلم ندب الزبير رضي الله عنه اولا الى الاقتصار عن بعض حقه على طريق التوسط والصلح
فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي
وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سوا لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشه
من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشه قال له وضربتني
بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشه
ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب صلى
الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك
حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع ادب لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث
سواد بن عمرو رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط
حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
انما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه
ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله صلى الله عليه وسلم
الدنيويه فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله
عليه وسلم على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا
اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة
ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك
فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر
معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيويه بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب
في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحله ويركب البغله في معارك الحرب دليلا على الثبات
ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وساير احواله بحسب
اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة
وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى غيره خيرا منه
وقد يفعل هذا في الامور الدينيه مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينه لاحد وكان
مذهبه التحصين بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية
للمومنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث
وتركه بنا الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين فقال في الحديث الصحيح لعايشه رضي الله عنها
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجا استيلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملايه حتى لا يبدو منه
شي من اطرافه وحتى كان على رووس جلسايه الطير ويتحدث مع جلسايه بحديث اولهم
ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن عن جلسايه يقول ما كان لنبي ان تكون له خاينة

الاعين

الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشه رضى الله عنها فى الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل عليه الان
له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز
ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول فى ظهره ما قال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم كان
استيلافا لمثله وتطيبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل فى الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله
فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة
الدينيه وقد كان يستالفهم باموال الله تعالى العريضه فكيف بالكلمة اللينه قال صفوان اعطانى وهو
ابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار احب الخلق الى وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لاسيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزا
بل واجبا فى بعض الاحيان كعادة المحدثين فى تجريح الرواه والمزكين فى الشهود فان قيل فما معنى
المعضل الوارد فى حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعايشه رضى الله عنها وقد اخبرته ان
موالى بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولا فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطى لهم
الولا ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله كل شرط ليس
فى كتاب الله فهو باطل والنبى صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله
اعلم لما باعوها من عايشة رضى الله عنها كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله وهو صلى
الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبى صلى الله عليه منزه عما
يقع فى بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة
قوله اشترطى لهم الولا اذ ليست فى اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى
عليهم قال الله تعالى اوليك لهم اللعنه وقال فان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطى عليهم الولا لك
ويكون قيام النبى صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولا لانفسهم قبل ذلك
ووجه ثان ان قوله صلى الله عليه وسلم اشترطى لهم الولا ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولا لمن اعتق
فكانه قال اشترطى او لا تشترطى فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودى وغيره وتوبيخ
النبى صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله اشترطى لهم الولا اى اظهرى لهم حكمه وبينى عندهم سنته ان الولا انما هو لمن
اعتق ثم بعد هذا اقام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه
فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلم باخيه اذ جعل السقاية فى رحله واخذه باسم سرقتها
وما جرى على اخوته فى ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الايه
تدل ان فعل يوسف عليه السلم كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشا الله الايه فاذا كان ذلك فلا اعتراض به وكان فيه ما كان
وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتيس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى تعين من عقبى الخير له به وازاحة السو والمضرة عنه بذلك واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلم فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قايله ان
حسن له التاويل كاينا من كان ظن فى صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبيا عليهم السلم ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب
الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة فى اجرا الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم الصلاة والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى
وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم وهم خيرته من خلقه واحباوه واصفياوه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلى
عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم وامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر

والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدٌ لبصايرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين
ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ولمحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ قال
حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن ابيه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاءً قال
الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ما يزال البلا بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه
ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان عليه السلم انه قال يا بني الذهب والفضة تختبران بالنار
والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف عليهما السلم كان سببه التفاته اليه
في صلوته ويوسف نايم محبة له وقيل اجتمع يومًا هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم
عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكا اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا
فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن
الليث ان سبب بلاء ايوب عليه السلم انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا
له الا ايوب فانه رفق به لمخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان عليه السلم
لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او العمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رضي الله عنه
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدًا
قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل
ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا
معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى
بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلا وان الله اذا احب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا
ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءًا يجز به ان المسلم يجزى
بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عايشة وابي ومجاهد رضي الله عنهم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرًا يصب منه وقال في رواية
عايشة رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال في رواية ابي سعيد رضي الله عنه ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا
حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه ما من مسلم مؤمن يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله تعالى في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المومن
مثل خامة الزرع تفيها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح

تكفاها

تكفاها فاذا اسكنت اعتدلت وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمه
الله معناه ان المومن مرزء مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع
لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها
لهبوبها وترنحها من حيث ما انتها فاذا ازاح الله عن المومنين رياح البلايا واعتدل صحيحًا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع
بلايه منتظرًا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا
نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ماله فيها من الاجر
وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا
معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصما حتى اذا اراد الله تعالى هلاكه قصمه
لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدايه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجاهم بالموت على حال
عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا كره السلف موت الفجاة ومنه في حديث ابرهيم
كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض
نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها للقاء
ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى
تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويودي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية
فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد
طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من
القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته
وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا يضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم
بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليايه المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله
تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته
وقال موت الفجاه راحة للمومن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المومن وهو
غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا
اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت اشد شي عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شي له والى هذا المعنى اشار صلى الله
عليه وسلم بقوله من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره الله لقاه القسم الرابع في تصرف
وجوه الاحكام في من ينقصه او سبه صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين
له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل
منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان
لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال
تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية
وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله تعالى المومنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المومنين عنها
لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل لما فيها من مشاركة اللفظ
لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه

وسلم وتعظيمه لانها فى لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه
الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه وسلم
قد نهى عن التكنى بكنيته فقال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان
صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن
عن التكنى بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه وتجد بذلك المنافقون والمستهزون
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا السواه تعنيتا له واستخفافا
لحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلما نهيه عن
هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس فى هذا الحديث مذاهب ليس
هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شا الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله
منع من ندايه به بقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه
برسول الله ونبى الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم فى بعض الاحوال وقد روى انس رضى
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر رضى الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسم
احد باسم النبى صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبرى وحكى ابن سعيد انه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى
محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع
لهذا ان يسمى احدا باسم الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبيا ثم
امسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد
سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابى القاسم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن فى ذلك لعلى
رضى الله عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدى وكنيته وقد سمى به النبى صلى الله
عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد قال ما ضر احدكم
ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلثه وقد فصلت الكلام فى هذا القسم على بابين كما قدمنا

الباب الاول فى بيان ما هو فى حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض
او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به
نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشى على طريق
السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه
حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا
نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور
او عيره بشى مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجايزة والمعهوده
لديه صلى الله عليه وسلم هذا كله اجماع من العلماء وايمة الفتوى من لدن الصحابه رضوان الله
عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه
وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
رضى الله عنهم قال القاضى ابو الفضل وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق رضى الله
عنه ولا تقبل توبته عند هولاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثورى واهل الكوفة والاوزا عى
فى المسلم لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبرى مثله عن ابى
حنيفة واصحابه فيمن ينقصه صلى الله عليه وسلم او برى منه او كذبه وقال سحنون فيمن
سبه ذلك ردة كالزندقه وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر
كما سنبينه فى الباب الثانى ان شا الله تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين علما الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهريه وهو ابو
محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال
محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبى صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار
عليه

عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين
ابن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالك بن نويرة لقوله عن النبي
صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في
وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند
الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا
او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك
انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين عليهم السلم من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال
عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك رضي الله عنه من قال ان رداء النبي صلى
الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع
العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو
الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد
ابن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال
ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق
رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي
ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء
التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد واشك الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا
ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم
الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن
طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه عليهم السلم
ونبينا صلى الله عليه وسلم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب
فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم
وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم

او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه
او شدة من زمنه او بالميل الى نسايه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى مذاهب
العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه **فصـــل** في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه
وسلم فمن القران لعنة الله تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف
في قتل من سب الله ورسوله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين
يوذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله
تعالى ايما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا
وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما
واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله تعالى ونبيه
صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط
اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم
قال حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم
ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ
ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا الدارقطني وابو عمر بن حيوة قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا ابو الحسن
عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن
جده عن محمد بن علي بن الحسين بن علي عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لي بكعب بن الاشرف فانه قد اذى خ يوذى
الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له
صلى الله عليه وسلم فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال
البراء رضي الله عنه وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم
الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وفي حديث
اخر ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد رضي الله عنه
انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان يوذيه من الكفار ويسبه
كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر
باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي
معيط نادى يا معاشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترايك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير رضي الله عنه انا فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا
ان امراة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد رضي
الله عنه فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير رضي
الله عنهما اليه ليقتلاه وروي ابن قانع ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
المهاجر بن امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر رضي الله عنه ذلك فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت امراة
من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت

تقع

تشتم فی النبی صلی الله علیه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبی صلی الله علیه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفی حدیث ابی برزة رضی الله عنه کنت یوما جالسا عند ابی بکر الصدیق رضی الله عنه فغضب
علی رجل من المسلمین وحکی القاضی اسمعیل وغیر واحد من الایمة فی هذا الحدیث انه سب ابا بکر رضی
الله عنه ورواه النسای اتیت ابا بکر وقد اغلظ لرجل فرد علیه قال فقلت یا خلیفة رسول الله دعنی
اضرب عنقه فقال اجلس فلیس ذلك لاحد الا لرسول الله صلی الله علیه وسلم قال القاضی ابو محمد
ابن نصر ولم یخالف علیه احد فاستدل الایمة بهذا الحدیث علی قتل من اغضب النبی صلی الله علیه
وسلم بکل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك کتاب عمر بن عبد العزیز رضی الله عنه الی عامله بالکوفة
وقد استشاره فی قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضی الله عنه فکتب الیه عمر انه لا یحل قتل امرء مسلم
بسب احد من الناس الا رجل سب رسول الله صلی الله علیه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال
الرشید مالکا رحمه فی رجل شتم النبی صلی الله علیه وسلم وذکر له ان فقها العراق افتوا بجلده
فغضب مالك یا امیر المومنین ما بقاء الامة بعد شتم نبیها من شتم الانبیاء علیهم السلم
قتل ومن شتم اصحاب النبی صلی الله علیه وسلم جلد قال القاضی ابو الفضل رضی الله
عنه کذا وقع فی هذه الحکایة رواها غیر واحد من اصحاب مناقب مالك ومولفی اخباره و
غیرهم ولا ادری من هولای الفقهاء بالعراق الذین افتوا الرشید بما ذکر وقد ذکرنا مذهب
العراقیین بقتله ولعلهم ممن لم یشتهر بعلم او من لا یوثق بفتواه او یمیل به هواه او یکون ما
قاله یحمل علی غیر السب فیکون الخلاف هل هو سب او غیر سب او یکون رجع وتاب عن
سبه فلم یقله لمالك علی اصله والا فالاجماع علی قتل من سبه کما قدمناه ویدل علی قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه صلی الله علیه وسلم قد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سر طویته وکفره ولهذا ما حکم له کثیر من العلماء بالردة وهی روایة
الشامیین عن مالك والاوزاعی وقول الثوری وابی حنیفة والکوفیین والقول الاخر
انه دلیل علی الکفر فیقتل حدا وان لم یحکم له بالکفر الا ان یکون متمادیا علی قوله غیر منکر له
ولا مقلع عنه فهذا کافر وقوله اما صریح کفر کالتکذیب ونحوه او من کلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دلیل استحلاله لذلك وهو کفر ایضا فهذا کافر بلا
خلاف قال الله تعالی فی مثله یحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا کلمة الکفر وکفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسیر هی قولهم ان کان ما یقول محمد حقا لنحن شر من الحمیر وقیل قول بعضهم ما
مثلنا ومثل محمد الا قول القایل سمن کلبك یاکلك ولین رجعنا الی المدینة لیخرجن الاعز
منها الاذل وقد قیل ان قایل مثل هذا ان کان مستترا به ان حکمه حکم الزندیق یقتل ولانه
قد غیر دینه وقد قال صلی الله علیه وسلم من غیر دینه فاضربوا عنقه ولان لحکم النبی صلی
الله علیه وسلم فی الحرمة مزیة علی امته وساب الحر من امته یحد فکانت العقوبة لمن سبه
صلی الله علیه وسلم القتل لعظیم قدره وشفوف منزلته علی غیره فصــل فان قلت فلم لم یقتل
النبی صلی الله علیه وسلم الیهودی الذی قال له السام علیکم وهذا دعاء علیه ولا قتل الاخر الذی
قال له ان هذه القسمة ما ارید بها وجه الله وقد تاذی النبی صلی الله علیه وسلم من ذلك
وقال قد اوذی موسی باکثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقین الذین کانوا یوذونه فی اکثر
الاحیان فاعلم وفقنا الله وایاك ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اول الاسلام یستالف
علیه الناس ویمیل قلوبهم الیه ویحبب الیهم الایمان ویزینه فی قلوبهم ویداریهم ویقول لاصحابه
انما بعثتم میسرین ولم تبعثوا منفرین ویقول یسروا ولا تعسروا وسکنوا ولا تنفروا ویقول لا
یتحدث الناس ان محمدا یقتل اصحابه وکان صلی الله علیه وسلم یداری الکفار والمنافقین ویجمل
صحبتهم ویغضی علیهم ویحتمل من اذاهم ویصبر علی جفایهم ما لا یجوز لنا الیوم الصبر لهم علیه
وکان یرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله عز وجل فقال تعالی ولا تزال تطلع علی خاینة
منهم الا قلیلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله یحب المحسنین وقال ادفع بالتی هی احسن فاذا
الذی بینك وبینه عداوة کانه ولی حمیم وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الکلمة
علیه فلما استقر واظهره الله تعالی علی الدین کله قتل من قدر علیه واشتهر امره کفعله بابن خطل ومن
عهد بقتله یوم الفتح ومن امکنه قتله غیلة من یهود وغیرهم او غلبه ممن لم ینظمه قبل سلك

صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يوذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر
وعقبة وكذلك هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعري وغيرهما ممن اذاه حتى
القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر واكثر
تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام
وتوبتهم فيصبر عليه افضل الصلاة والسلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل
حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم
للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله
تعالى عن هذا السوال وقال لعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من اقوالهم ما رفع وانما نقله
الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح
الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف
نبهت عليه عايشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم ينفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على
نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان
من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب
اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله تعالى ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن
قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لين لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن
مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم رضي الله عنه ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور
الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء
الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام
والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا ليس هذا بتعريض
بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد قدمنا ان الاذى والسب
في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم
ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يومنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف
ليلا ينفر الناس عنه ولما ذكرناه معناه عن مالك رحمه الله تعالى وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى الله
عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله تعالى عليهم واذن له في قتل من عينه

بينهم وا…

منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من
ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن
عايشه رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شي يوتى اليه قط الا ان ينتهك
حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه
من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له منه فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
او الفعل بالنفس او المال مما لم يقصد فاعله به اذاه صلى الله عليه وسلم لكن مما جبلت عليه الاعراب
من الجفا والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع
صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر رجاء بعد
ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء
استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام في قتل
القاصد لسبه صلى الله عليه وسلم والازرا به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه
بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القايل لما قال في جهته صلى
الله عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة
الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه صلى
الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين
الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر
بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عن غير قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من الكلام
ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه صلى الله عليه وسلم
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور
في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد بالكفر بالجهالة ولا
بدعوى زلل اللسان ولا بشي مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمين
بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
قدمناه وقال محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم
تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى
ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا
ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وساير الحدود لانه ادخله على
نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى
الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينيذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون فصل الوجه الثالث
ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به صلى الله عليه وسلم
انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا
بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل
عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان
مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة
رحمه الله واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم
الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم
يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شي تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب

وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا
او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله تعالى وقال اشهب
فى يهودى تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبى انه يستتاب ان كان معلنا
بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لا نبى بعدى
مفتر على الله تعالى فى دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك فى حرف مما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبى صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى صلى
الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن صلى الله عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال
لو قال انه مات قبل ان يلتحى او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفى قال حبيب بن
ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة **فصل** الوجه الرابع ان ياتى من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن
حمله على النبى صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه او شره
فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وحمى حمى
عرضه صلى الله عليه وسلم فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف ايمتنا فى رجل اغضبه غريمه فقال له صلى الله عليه وسلم على النبى
محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبى صلى الله
عليه وسلم او شتم الملايكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه
لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقى واصبغ بن الفرج لا يقتل انما شتم الناس وهذا نحو
قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب فى شتم النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبى صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا
مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هولاء لاجل قول الاخر له صل على
النبى صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلى عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضى وغيره
فى مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما
يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبى مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن
تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه
التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابى محمد بن ابى زيد رحمه الله فيمن
قال لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرايل ولعن الله بنى ادم وذكر انه لم يرد الانبيا وانما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذا افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر
وقال لم اعلم من حرمه وفى من لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر
بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
ولا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه
فى المسلة المتقدمة ومثل هذا ما يجرى فى كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الفخنزير
وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل فى مثل هذا العدد من ابايه واجداده
جماعة من الانبياء عليهم السلام ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغى الزجر
عنه وتبيين ما جهل قايله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من فى ابايه من الانبياء
على علم لقتل وقد يضيق القول فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمى لعن الله بنى هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا فى ابايه او من نسله او ولده
على علم منه انه من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة فى المسلتين تقتضى تخصيص بعض ابايه واخراج
النبى صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابى موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه

ان يثبت

ان ثبت ذلك عليه قتل قال ابن القاسم رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه
بشى ثم قال له تتهمنى فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى
قتله لشناعة ظاهر اللفظ وكان القاضى ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبرا عمن اتهم من الكفار وافتى فيها قاضى قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضى
ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل فى شهادة بعض من
شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضى ابا عبد الله بن عيسى ايام قضايه اتى برجل هاتر
رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك
وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوى الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس الا يقصد نقصا
ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله صلى الله عليه وسلم الجايزة
عليه فى الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته ليس على سبيل التاسى وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره
او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول
القايل ان قيل فى السوء فقد قيل فى النبى او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم
من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبى الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبى

انا فى امة تداركها الله	غريب كصالح فى ثمود

ونحوه من اشعار المتجرفين فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى

كنت موسى وافته بنت شعيب	غير ان ليس فيكما من فقير

على ان اخر هذا البيت شديد وداخل فى باب الازراء والتحقير بالنبى صلى الله عليه وسلم وتفضيل
حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحى بعد محمد	قلنا محمد من ابيه بديل
هو مثله فى الفضل الا انه	لم ياته برسالة جبريل

فصدر البيت الثانى من هذا الفصل لتشبيهه غير النبى صلى الله عليه وسلم فى فضله بالنبى عليه
الصلاة والسلام والعجز محتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه
عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر

واذا ما رفعت راياته	صفقت بين جناحى جبريل

وقول الاخر من اهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا	فصبر الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصى من شعراء الاندلس فى محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابى بكر بن زيدون

كان ابا بكر ابو بكر الرضا	وحسان حسان وانت محمد

الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس
فى ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العب وقلة علمهم بعظم ما فيه من الوزر وكلامهم
منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه
تسريحا ابن هانى الاندلسى وابن سليمان المعرى بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف
والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام فى هذا الفصل الذى سقنا امثلته فان هذه كلها
وان لم يتضمن سبا ولا اضافت الى الملايكة والانبياء نقصا ولست اعنى عجزى بيتى المعرى ولا قصد
قايلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة ٧٠ فصل
حتى شبه من شبه فى كرامة نالها او معرة الانتفاء منها او ضرب مثلا لتطييب مجلسه او اغلاء
فى وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر
القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درى عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه
او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابى

نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم ٭ فان عصا موسى بكف خصيب ٭
وقال له يا ابن الخنا انت المستهزي بعصى موسى عليه السلم وامر باخراجه عن عسكره من
ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه
بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ٭ خلقا وخلقا كما قد الشراك
وقد انكر عليه ايضا قوله ٭ كيف لا يدنيك من امل ٭ من رسول الله من نفره
لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا
يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا
ملك بن انس رضي الله عنه واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير
رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب
اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبيا عليهم السلم قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم
كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب وتوقيرا له وتعظيما كما امرنا
الله تعالى وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه
مالك الغضبان فقال اي شي اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد
اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا
فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذكر مالك
خازن النار عليه السلم فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس
له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القايل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة
مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك عليه
السلام كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه
لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيا فقال له الرجل
اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله
وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر
عليه فخطا لكنه مخطي في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه
وسلم اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى
الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله تعالى فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل
وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسلة استفتى
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله تعالى في رجل تنقصه
اخر بشي فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى
الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقها الاندلس
افتى بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القايل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة
وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقايله
والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والتقيص على قايله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القايل لذلك ممن تصدى
لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من
ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يودب الصبيان فان من هذه سريرته لا يومن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد فى هولاء الايجاب لحق النبى صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القايل بهذا السبيل فالقيام لحق النبى صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضيه وبان به الامر سقط عن الباقى الفرض وبقى الاستحباب فى تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث فكيف بمثل هذا وقد سيل ابو محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى عن الشاهد يسمع مثل هذا فى حق الله تعالى ايسعه ان لا يودى شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا فى هذا الباب فليس التفكه بعرض النبى صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعى بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله صلوات الله عليهم فى كتابه العزيز على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا فى محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحه على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل رحمه الله تعالى انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقايلين بالمخلوق وهذه الوجوه السايغه الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة من بعض فما كان من قايله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العوده اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا رضى الله عنه عمن يقول القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيرى فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى فى من حفظ شطر بيت مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله تعالى اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله تعالى من قايلها واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم بن سلام رحمه الله تعالى قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبرا لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم او يختلف فى جوازه عليه وما يطرا من الامور البشريه ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر فى ذات الله عز وجل فى شدته من مقاساة اعدايه واذاهم له ومعرفة ابتدا حاله وسيرته صلى الله عليه وسلم وما لقيه من بوس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا عليهم الصلوة والسلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون السته اذ ليس فيه غمص

ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهما طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوايده ويجنب ذلك
من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النسا سورة يوسف عليه السلم
لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتدا حاله وقال ما من نبي
الا وقد رعى واخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه الصلوة والسلام وهذا لا غضاضة فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجهه خلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع
العرب نعم في ذلك الانبياء صلوات الله عليهم حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم على كرامته وتدريب
برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم
وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته صلى الله عليه وسلم على طريق المنة عليه والتعريف
بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتديه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيها غضاضة بل فيه دلالة على نبوته عليه افضل الصلوة والسلام
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيا فشيا
ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم
باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده بالملايكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره و
مقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفين عنه صلى الله عليه وسلم هل في ابايه من ملك
ثم قال ولو كان في ابايه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحد علاماته
في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي
يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة
له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق
المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك مما قدمناه في القسم الاول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراة المعرفة وانما هي الة لها وواسطة
موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب
والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حيوته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنايه
وهلم جرا الى ساير ما روي عن اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين خطيرها
وحقيرها المسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضايله ومآثره وشرفه كما ذكرناه
فمن اورد شيا منها موردة وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم
منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره صلى الله عليه
وسلم واخبار ساير الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال
يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يحدث منها الا
بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله تعالى مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من
الاحاديث الموهمة للتشبيه المشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له
ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقها وليت الناس وافقوه على ترك التحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم
جا من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا
يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها شذر مذر فمنهم

من آمن

من به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الا يذكر منها شي في حق الله تعالى
ولا حق انبيايه صلوات الله عليهم ولا يتحدث بها ولا يتكلم الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان يذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد واهية الاسناد وقد
انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك في تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفه موضوعه
لا اصل لها ومنقوله عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها
واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم
فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر
تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات
الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه
ومودة الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة
وتكلم على مجاري اعماله واقواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ وادب العباره وما امكنه
واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العباره
ويتجنب لفظه الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل
يمكن الا ان يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغاير
فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي
فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلما
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجايرين قوله لاجل ترك
تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يا باه ويكفر قايله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب والتزامه اكد
فجودة العباره تقبح الشي او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح
العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور في الحكم
على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر
مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القران حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر
باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه
بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومتنقصه

وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم
وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقايله او تخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك رضي الله عنه واصحابه وقول السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تايبا من قبل نفسه لانه حد وجب
لا يسقطه التوبة كساير الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى اذا اقر بالسب
وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه
وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه من الموحدين ثم
تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تايبا فحكى
القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان
يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته

نعض

عندهم صح

لاني استدل على صحتها بجميعه فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قول اصبغ ومسئلة سب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق
واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن
المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط
اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى
الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن
جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته
ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف
فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من
زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره ولكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال
المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى يريد والله
اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هؤلاء مبني
على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك مما ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها
فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع
فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك
حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وشهد عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا و
معصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم يثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد
الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم
عليه فهذا كافر بقوله واستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة
حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من
الصحابة رضي الله عنهم على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك و
اصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد بن عمير
والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ
وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته
عند الله تعالى ولكن لا ندرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكى ايضا عن عطا ان كان ممن ولد

الاسلام لم يستتاب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سوا
وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطا وقتادة وروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما لا يقتل النسا في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك رحمه الله
تعالى والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر
رضي الله عنه انه يستتاب ثلثة ايام تحبس فيها وقد اختلف فيها عن عمر رضي الله عنه وهو احد
قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلثا وقال
مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه تحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه
كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الراي وروي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي رحمة الله
تعالى مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا
وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله انه يستتاب
ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او
يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك رضي الله عنه ما علمت في الاستتابة تجويعا
ولا تعطيشا ويوتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابني يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سوا
ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما
رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك رضي الله عنه يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد
رضي الله عنهما وقاله ابن القاسم وقال ابن اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم
يتب في الرابعة قتل دون استتابة فان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر
عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر لا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع
وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي رحمهم الله تعالى **فصل** هذا حكم من ثبت عليه
ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول
بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه
والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب
عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي رحمهما
الله تعالى انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقال سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب في من سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته
وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عايق اشكل في القتل لم ينبغي ان
يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد
ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر
فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفها ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت

من عداوتهما او جرحهما بما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز
فاسقطهما بعداوةٍ فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما والحاكم هنا
فى تنكيله موضع اجتهادٍ والله تعالى ولى الارشاد فصـــل هذا حكم المسلم فاما الذمى اذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا فى قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمه او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفه والثورى
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا نقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يودب ويعذر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم الايه
ويستدل ايضا عليه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حربٍ يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط
حدود الاسلام عليهم من القطع فى سرقه اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم للنبى صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضى الخلاف
اذا ذكره الذمى بالوجه الذى كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى
ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر فى بغضه
له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم يقبل
بعد رجوعه ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم
يسقطها شىء وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله عليه وسلم وجب
عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى يسقط
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتلٍ وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم
فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك رضى الله عنه فى كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم وقال ابن القاسم فى العتبيه وعند محمد وابن
سحنون ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافرٍ قتل ولم يستتب وروى لنا
عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهبٍ عن ابن عمر رضى الله عنه ان راهبا تناول
النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضى الله عنهما فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم
فى ذمى قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا
شىء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبيٍ او لم يرسل او لم ينزل عليه
قران وانما هو شىء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القسم واذا قال النصرانى ديننا خير من
دينكم انما دينكم دين الحمير او نحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففى هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبى صلى
الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك فى غير مرةٍ ولم يقل يستتاب قال
ابن القسم ومحمل قوله عندى اذا اسلم طايعا وقال ابن سحنون فى سوالات سليمان بن سالمٍ فى اليهودى
يقول للمؤذن اذ تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفى النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الانبياء صلوات الله عليهم من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا ضربت
عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته فى سب النبى صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا
قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو
بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه صلى الله عليه وسلم لم تجز لنا ذلك فى قول قايل كذلك

وسحنون لا تقبل توبته [illegible]

ينقض

ينتقض عهد من سب منهم وتحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا
يحصنه الذمة **قال القاضي** ابو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن سحنون عن
نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على
انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال
والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته وعاش يوما وليلة وامرت
من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسيل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا رضي الله عنه عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ماله لا ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل
ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك ارى ان يضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من
اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه
بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه صلى الله عليه وسلم ولقد كتب الى مالك رحمه الله تعالى من مصر وذكر
مسلة ابن القاسم المتقدمه قال فامرني مالك فكتبت اليه بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا باعبد الله اكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين
يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفه بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابه في
جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانيه استهلت بنفي الربوبيه ونبوة عيسى لله وتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم في النبوه وبقبول اسلامها ودرا القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه في سب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درا القتل عنه
باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما
يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي او غيره فاوجب على الذمي
اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل
باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله
والصلاة عليه اختلف العلما في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى
انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق مستترا بذلك
وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي
ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شي وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبه لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبه منه فقتل على ذلك كان
كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته كما يفعل بالكفار وقول
الشيخ ابو الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم
في العتبيه وجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه
حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في
ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبه فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث قال
ابو محمد في من سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم يقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ
عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما
تفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه
ورثته ربيعه والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد رحمه الله تعالى وقال علي بن
ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة رضي الله عنهم يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل

قال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان

ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فرة ورثته ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد ابن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه

لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك رضي الله عنه في كتاب اسحق ابن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله تعالى بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راي عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك رضي الله عنه واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطا المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك رحمه الله في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف

لتاويل

لتاويل كتاب الله عز وجل يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا
ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية وساير اهل البدع قال وهم مسلمون وانما
قتلوا لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال ابن القاسم من قال ان الله عز وجل
لم يكلم موسى عليه السلام تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجية وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام
انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد
الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهوآء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى
شي من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية
بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو
عبد الله التستري من ايمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي رضي الله عنه لا يستتاب
القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينه وابن لهيعه روي عنهم
ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق
الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي
الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك
قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر بتكفيرهم علي بن ابي برّكم
طالب وابن عمر والحسن البصري رضي الله عنهم وهو راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك رضي
الله عنه في القدرية وساير اهل البدع يستتابوا فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال
في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتل وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا
وان كان قد يدخل ايضا في امور الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين
وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق القول في اكفار
المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال
قولا يوديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يوديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمين في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف
ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المومنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا
هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب
قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى
نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق رضي الله عنه وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يودي اليه واضطرب قوله في المسلة على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس رضي الله عنه حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من
كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من
المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابو الحسن الاشعري
رضي الله عنه واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى
وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطريق فليس بعارف به وهو
كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله تعالى في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسلة

فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي تجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله واما العصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا نقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم عن المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله نحكم بكفره ويعارضه بقول خالد رضي الله عنه في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشي اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد رضي الله عنه الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامه وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث تخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركه فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابه رضي الله عنهم وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيره مضطربه سخيفه اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لا لم يعرف الاصل فهو مخطي غير كافر وذهب عبيد الله ابن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامه اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطي فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داوود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامه في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحى الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر رحمه الله لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في

بيان

بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وساير فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملايكة او الشياطين او الشمس والنجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كاين عنه او ان معه في الازل شيا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقايه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب زكايها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء عليهم السلام الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل عليه السلم وكالمعطلة والقرامطة الاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هولاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء عليهم السلم الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هولاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء صلوات الله عليهم او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يودي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قايله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القايلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القايلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي رضي الله عنه في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هولاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القايلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هولاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل

هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هولاء الطوايف
كلها قطعًا اجماعًا وسمعًا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث
مجمعًا على نقله مقطوعا به مجمعًا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من
دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع
بتكفير كل قايل قال قولًا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليًا وكفرت عليًا رضي الله عنه اذ
لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد
انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك رضي الله عنه
في احد قوليه يقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على
مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
وصلى على رسوله واله وصحبه وسلم وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان
كان صاحبه مصرحًا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرووس فقد اجمع المسلمون ان
هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى
علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسًا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه
في القران نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرايض اسما
رجال امروا بولايتهم والخبايث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراة منهم وقول بعض المتصوفة ان
العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شي لهم ورفع
عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج
واجب في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهية المتعارفة وان تلك البقعة
هي مكة او البيت او المسجد الحرام لا ادري هل هي تلك ام غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله
عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن
به علم وذلك ممن خالط المسلمين فلا نجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله
عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة
والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال
هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات
الصلاة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به وادخل الاسترابة في جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرا الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران
او حرفا منه او غير شيًا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي
صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله
تعالى ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما
بانكارهما ان يكون في ساير معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله عز وجل لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا

صوابه بوجه

كله

كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل
عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار او البعث والحساب
والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك
ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات
روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى
القيامة الموت او فنا محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء صلوات الله عليهم فاما من انكر ما عرف
بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين
كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابي بكر وعمر رضي الله عنهما او قتل عثمان او خلافة علي رضي الله
عنهما لما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم
له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من
خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه
الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين
والفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع
المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله
صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع
على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي
يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع

الاجماع

قال القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله
هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل
نص الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك
فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر والكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور
احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم او يجمع
المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها
في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا
جهلا بالله فيهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى
الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ايمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها
واعراه عنها وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكى ذلك
عن ابي جعفر الطبري وغيره وقاله ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه مرة وذهبت طائفة
الى ان هذا لا تخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري رحمه الله قال لانه لم يعتقد ذلك
اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل
لين قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس
عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث
بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيايه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا
فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه
ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى

عليه من الجزع والخشية التي اذهبت لبه فلم يواخذ به وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او
يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال
اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على مذهب المعتزلة فمن
قال بالمآل لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم
اذ لا يوصف بعالم الا من له علم وكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عنده ساير
فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن
ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوول
اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك
الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى
يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمن الصحابة رضي
الله عنهم وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر وراي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم
قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة ممن يقل بكفرهم منهم خلافا
لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب **قال** القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى واما مسايل
الوعد والوعيد والروية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق
فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون
على اكفار من جهل شيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته
بحول الله وقوته **فصل** هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد بن
سحنون من شتم الله عز وجل من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال
ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد **قال** ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان
الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم قال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد
الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا
ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين
في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به بالله والنبي واجماعهم على ذلك وهو
نحو القول الاخر في من سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله تعالى به وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيا من كفرهم
وان لا يسمعونا شيا من ذلك فمتى فعلوا شيا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلما في الذمي اذا تزندق
فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك
ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم
من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والاهيته فاما
مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله تعالى
خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا اختلاف
في كفر قايل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه
انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون

ذلك زجرا

ذلك زجرًا لمثله عن قوله وله عن العوده لكفره اوجهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما
الحق به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه
وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يودب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تودب البهيمه
على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله عنه من ادعى له الالهيه وقد قتل عبد
الملك بن مروان الحرث المتنبى وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام
المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى العزا قيد
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين
ابن ابى عمر المالكى وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبا قتل وقال ابو حنيفة واصحابه
من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال ابن القاسم فى كتاب
ابن حبيب ومحمد والعتبيه فيمن تنبا يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون
وغيره وقاله اشهب فى يهودى وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا
قتل وقال ابو محمد بن ابى زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى
فى سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبه الزنديق لان
هذا كفر المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم
يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل فى بعض الاشيا
ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا فى حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريايه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان
ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن اخى عجب وكان خرج يومًا فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش
جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانيه وعبد الاعلى بن وهب وابان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفى فيه الادب وافتى
بمثله القاضى حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى ايشتم رب عبدناه ثم
لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير عبد الرحمن بن الحكم
الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضى
لتهمته بالمداهنة فى هذه القصه ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك
الهنه الواحده والفلته الشارده ما لم يكن تنقصًا وازراء فيعاقب عليها ويودب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قايلها وشرح سببها ومقارنها وقد سيل ابن القاسم
رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلًا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلًا او
قاله على وجه سفه فلا شىء عليه **قال القاضى ابو الفضل** رحمه الله تعالى وشرح قوله
انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يودب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزله ربه
لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم فى هذا الباب واستخفوا عظيم
هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نقص
مسايل حكيناها لما ذكرنا شيا يثقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول واما ما ورد
فى هذا من اهل الجهاله واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب

رب العباد ما لنا وما لكا ** قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا ** فى اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه

ثقافة تاديب الشريعه والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل تجب تعليمه وزجره والاغلاظ
له عن العوده الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شي حتى يقول
اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما
يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما للاسم تعالى
ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة
خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هولاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل
الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والموفق الله **فصل** وحكم من سب ساير انبياء الله تعالى وملايكته واستخف بهم او كذبهم
فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية الى قوله لا نفرق
بين احد منهم وقال كل آمن بالله وملايكته وكتبه ورسله قال مالك رضي
الله عنه في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون
فيمن شتم الانبياء عليهم السلام او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة
قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء عليهم السلام من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال
القاضي بقرطبه سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملايكته قتل وقال سحنون
من شتم ملكا من الملايكه فعليه القتل وفي النوادر عن مالك رضي الله عنه فيمن قال ان
جبريل عليه الصلاة والسلام اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب رضي الله عنه
استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابيه من الروافض سموا بذلك
لقولهم وكان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من
كذب باحد من الانبياء صلوات الله عليهم او تنقص احدا منهم او برى منهم فهو مرتد وقال ابو
الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملايكة
والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملايكة والنبيين عليهم السلام مما نص الله تعالى عليه
في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكايل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين من الملايكة ومن سمي باسمه
من الانبياء وكعزرايل واسرافيل ورضوان والحفظه ومنكر ونكير من الملايكة المتفق على
قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملايكة
او الانبياء كهاروت وماروت في الملايكه والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسيه
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمورخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمه ولكن
يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته
وفضله منهم وان لم يثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملايكه فان كان المتكلم
في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض
في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف في مثل هذا مما ليس تحته
عمل لاهل العلم فكيف للعامه **فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشي منه
او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشي منه او كذب بشي مما صرح به فيه من حكم
او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شي من ذلك فهو كافر عند اهل
العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله قال حدثنا ابو علي حدثنا ابن عبد
البر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسه حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا
يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء

وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية

في القران

في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب
الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو
في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه
حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى
مالك رحمه الله تعالى قتل من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف
القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله
عز وجل يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد
على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما او شهد اخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
يتفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات
ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كفر باية من القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج
من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سيل
القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد اخر انه ساله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد
لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشي من عند
الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق
فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرى احد ايمة المقريين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثماية
وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سو الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليهم السلم وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو
الفضل العدل قال حدثنا ابو يعلى السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى
حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان
يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا
تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني في اصحابي
ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عايشة وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يوذيني
ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك رحمه الله في ذلك الاجتهاد والادب
الموجع قال مالك رحمه الله تعالى من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال
ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص
رضي الله عنهم فان قالوا كانوا على ضلال او كفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا

شديدًا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبًا شديدًا ومن
زاد الى بغض ابى بكرٍ وعمر رضى الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت اويتوب
ولا يبلغ به القتل الا فى سب النبى صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدًا من اصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم عليًا او عثمان او غيرهما رضى الله عنهم يوجع ضربًا وحكى ابو محمد بن ابى زيدٍ
عن سحنون من قال فى ابى بكرٍ وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم انهم كانوا على ضلالةٍ وكفرٍ قتل ومن
شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى عن مالكٍ من سب ابا بكرٍ رضى الله
عنه جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان عنه
لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدًا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى
ابو الحسن الصقلى ان القاضى ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر فى القران ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه فى اى كثيرة وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
سبح نفسه فى تبريتها من السوء كما سبح نفسه فى تبريته من السوء وهذا يشهد لقول مالكٍ فى قتل
من سب عايشة رضى الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان
سبها سبًا لنبيه وقرن سب نبيه صلى الله عليه وسلم واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه
تعالى القتل كان موذى نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة رضى الله
عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسى فقال من حضر هذا فقال ابن ابى ليلى انا فجلده
ثمانين وحلق راسه واسلمه فى الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نذر قطع
لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود رضى الله عنه فكلم فى ذلك فقال دعونى اقطع
لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذرٍ الهروى ان عمر
بن الخطاب رضى الله عنه اتى باعرابى يهجو الانصار رضى الله عنهم فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه
قال مالكٌ رضى الله عنه من انتقص احدًا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فليس له فى هذا الفى
حق قد قسم الله الفى فى ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوا
الدار والايمان من قبلهم الاية وهولاء الانصار ثم قال والذين جاوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له فى المسلمين
وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم انه ابن زانيةٍ وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا
حدين حدًا له وحدًا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله
عليه وسلم من سب اصحابى فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد حد الفرية
لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابى حيًا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم ولو سمعه
الامام واشهد عليه كان ولى القيام به قال ومن سب غير عايشة رضى الله عنها من ازواج النبى
صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبى صلى الله عليه وسلم بسب
حليلته والاخر انها كساير الصحابة تجلد حد المفترى قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب
عن مالكٍ من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يضرب ضربًا وجيعًا ويشهر ويحبس
طويلًا حتى يظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف
الشعبى فقيه مالقة فى رجل انكر تحليف امراةٍ بالليل وقال لو كانت بنت ابى بكرٍ الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة
ابى بكرٍ فى مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب
قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا
شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله تعالى وقال ابو عمران قال لو شهد على ابى بكرٍ
الصديق انه كان فى مثل هذا الاجر فبالشاهد الواحد فلا شى عليه وان كان اراد غير هذا خ
فيضرب ضربًا يبلغ به حد الموت وذكروها رواية قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه
هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذى انتحيناه واستوفى الشرط الذى
شرطناه مما ارجوا ان فى كل قسم منه للمريد مقنع وفى كل باب منهج الى بغيته ومنزع

وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع ٭ وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل
في اكثر المصانيف مشرع ٭ واودعته غير ما فصل ووددت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه ٭ او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه ٭ لاكتفي بما ارويه عما ارويه
والى الله تعالى جزيل الضراعه في المنة ٭ بقبول ما منه ٭ لوجهه ٭ والعفو عما تخلله
من تزين وتصنع لغيره ٭ وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه ٭ لما اودعناه
من شرف مصطفاه ٭ وامين وحيه ٭ واسهرنا به جفوننا لتتبع فضايله ٭ واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصايصه ووسايله ٭ ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا
كريم عرضه ٭ ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ٭ ويجعله لنا
ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه ٭ سببا يصلنا باسبابه ٭ وذخيرة نجدها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ٭ ويخصنا بخصيصى زمرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته ٭ ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن
من اهل شفاعته ٭ ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم ٭ وفتح البصيرة
لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ٭ ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع ٭ وعلم
لا ينفع ٭ وعمل لا يرفع ٭ فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ٭ ولا ينتصر من خذله
ولا يرد دعوة القاصدين ٭ ولا يصلح عمل المفسدين ٭ وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين ٭ وعلى آله واصحابه ٭ وازواجه
وعترته وساير النبيين ٭ وسلم تسليما كثيرا ٭ والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب كتاب الشفا ٭ في التعريف بحقوق المصطفى ٭
صلى الله عليه وسلم بحمد الله وعونه ومنته ولطفه
ووافق الفراغ منه على يد كاتبه لنفسه
العبد الفقير الراجي عفو ربه الملك القدير
عبد الله بن الحاج مصطفى الاسطواني الحنفي
الخطيب بجامع بني امية بدمشق سابقا
في السادس من شهر رجب الفرد
من سنة سبع وخمسين
ومايه والف
من الهجرة

نفعه الله به وختم له بخير في عافيه ولمن كتبه او طالعه ودعا له بالمغفرة ولساير المسلمين انه
على كل شي قدير

يا خالق الخلق طورا بعد اطوار … وعالم الجهر من قول واسرار
اغفر لكاتبه ايضا وقاريه … والمستغفر له يا رب والقاري
وادخل الكل جنات النعيم غدا … يوم الحساب وانقذهم من النار

صورة ما وجد بخط مكتوب على اخر النسخة المنقول منها
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد سمع على جميع
كتاب الشفا [illegible] الفضل عياض بن موسى
بن عياض [illegible]
[illegible]
الدين عبد القادر [illegible]
[illegible] ٩٣٩
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم